

ملكات أوروبا والحركة الصليبية

طه ثلجي الطراونه*

ملخص

تتناول هذه الدراسة التعريف بملكات أوروبا اللواتي عاصرهن الحركة الصليبية، وتوضّح ما قدّمت كل منهن لتأييد تلك الحركة ودعمها، ومرافقة الأكثر حماساً منهن لبعض الحملات العسكرية، وتولي البعض الآخر تربية أبنائهن وأحفادهن تربية دينية تخدم أهداف الحركة الصليبية. وكشفت أيضاً علاقة القربى بينهم وصولاً إلى الأصل الذي تفرّعت منه تلك السلالة، وارتقى أبناؤهم أهم العروش الأوروبية، وأشدّها مساندة للصليبيين، وأصلبها تعصباً وعداءً للمسلمين.

الكلمات الدالة: الحركة لصليبية.

European Qneers and the consades

Taha Thalji Tarawneh

Abstract

This study deals with identifying the European queens, who concurred the crusading movement, and their roles in supporting its activities, as well as supervising the religious instruction of their children, and even grandchildren for prompting the crusade objectives. Also, it uncovered the kinship relations among them by tracing their lines of connections from which the most fanatic European monarchies against Islam had come.

Keywords: European Qneers.

* قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

تاريخ قبول البحث: 2009/8/27.

تاريخ تقديم البحث: 2008/7/8.

© جميع حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، المملكة الأردنية الهاشمية، 2010.

شكّلت الحرب قانون الغرب الأوروبي في ظل النظام الإقطاعي الذي سادته أثناء العصور الوسطى، ذلك لأنها كانت المهنة الأساسية، ووسيلة الترفيه للنبلاء المولعين بالقتال. وبدلاً من أن تكون التعهدات الإقطاعية ما بين السيد والتابع ضمانه للسلم، فقد كانت سبباً في إشعال تلك الحروب. وشمل ذلك العنف حتى أبناء العائلة الواحدة، فالابن الطامع في الاستمئاع بشيء من الميراث ثار على أبيه وحاربه، والأخ الأصغر حارب أخاه الأكبر، وابن الأخ حارب عمه الذي عزم على حرمانه من حقه. وفي هذا المجتمع المتعب بالحروب، أجازت الأعراف الإقطاعية عند وفاة الملك أو السيد الإقطاعي دون ولي للعهد أو وريث ذكر، انتقال التاج أو الإقطاع إلى ابنته الكبرى شريطة وجود حام ذكر، أي محارب، لحماية التاج، أو الالتزام بتنفيذ التعهدات الإقطاعية.

وفي هذه الأجواء المضطربة في الغرب الأوروبي، تمت الدعوة للحركة الصليبية. وقد وفّرت هذه الدعوة للبابوية عدداً من الفرص التي سارعت إلى استغلالها دون إبطاء لتحقيق جملة من الفوائد في سبيل تأكيد مجدها وسموها. فقد تمكنت البابوية من وضع نفسها في موقع القيادة لحركة شعبية ممتدة في مختلف أنحاء أوروبا. واختطفّت زمام قيادة تلك القارة وجدانياً وأخلاقياً لأمد طويل. ولعلّ الأهم في هذا السياق أنها وجدت في إعلان الحرب على المسلمين حلاً جزئياً للحروب ما بين أمراء الإقطاع. فمُنذ أكثر من قرن قبل اجتماع كليرمونت (Clermont) في خريف سنة 1095، ورجال الكنيسة يحاولون تهدئة أوروبا من خلال الدعوة التي عُرفت باسم "سلام الله"، التي حرّمت العمليات العسكرية في أراضي الكنيسة وأراضي الفقراء. فحفز النجاح المحدود الذي وجدته دعوة أخرى عُرفت باسم "هدنة الله"، التي حرّمت القتال في أيام العطل ومواسم الأعياد، وفي أيام الجمعة والسبت والأحد من كل أسبوع. وأخيراً تمت الدعوة للحركة الصليبية لتغدو نزوة تلك الدعوات للسلام في أوروبا. فعندما أعلن البابا أوربان الثاني (Urban II) (1088-1099 م) الحرب الصليبية ضد المسلمين، أعلن في الوقت نفسه السلم في الغرب الأوروبي محرماً جميع أشكال الحرب بين المسيحي والمسيحي.⁽¹⁾

ولما سحبت تلك الدعوة كثيراً من القوى المولعة بالحرب لدى الأرستقراطية الأوروبية، ووجهت فعاليتها القتالية ضد المسلمين، فمن المنتظر أن يشترك في ذلك الجهد "المقدس" كل ذي سلطة وقوة. وقد شهدت هذه الفترة العديد من السيدات اللواتي آلت إليهن وراثة الممالك أو الإمارات الإقطاعية، فأثبتن مقدرتهن في السياسة وفنون الحكم. وعندما انطلقت الدعوة للحركة الصليبية أُنذنها بكل ما لديهن من قوة، ومن ثم ساندنّها في كل أوارها، بمساعدة البابوات الذين تبنوّها، وبمرافقة الحملات العسكرية إلى الشرق الإسلامي، وبترقية الأبناء والأحفاد تربية دينية صارمة أساسها التعصب ضد الإسلام والمسلمين، وبترتيب زيجات التحالف السياسي ما بين أبناء الأسر المالكة في الغرب الأوروبي، الداعمة للحركة الصليبية، التي ارتبطت من خلالها بروابط الدم والقربى في شبكة امتدت على جانبي البحر المتوسط، وعلى طرفي

القنال الإنجليزي. وستعرف هذه الدراسة بكل واحدة منهم وبدورها في دعم الحركة، وتتبع نسب كل منهم وصولاً إلى الأصل الذي تفرعت منه أكثر البيوتات الحاكمة في الغرب وفي مملكة القدس اللاتينية.

وعلى أي حال، فإذا كانت موقعة ملاذكرد سنة 1071م (463 هـ)⁽²⁾، هي الشرارة التي أشعلت الحرب الصليبية، فإن شرراً آخر كان يتطير في الغرب الأوروبي، وأشعل هناك حرائق أكبر وأبعد أثراً في أوروبا. وقد استغلت البابوية ملاذكرد، وما نجم عنها لتغيير مجرى الريح وتوجيه النيران إلى بلاد المسلمين. فبعد سنتين على تلك الموقعة، أي في سنة 1073م، اعتلى كرسي البابوية الكاردينال الإصلاحى الإيطالى هلدبراند (Hildebrand) باسم غريغوري السابع (Gregory VII)، واستمر حتى سنة (1085). وعلى الرغم من انشغاله في فرض برنامج الإصلاحى المعروف بالإصلاح الغريغورى⁽³⁾، الذى أدى إلى التصادم بينه وبين الإمبراطور هنري الرابع (1056-1106 م)، فقد أعلن في سنة 1074م عن عزمه على قيادة جيش يتوجه إلى القسطنطينية لتوفير الحماية لها من تهديدات المسلمين، ودعا المؤمنين لتقديم المساعدة له. ولكن دعوته تلك ضاعت بين المشاكل العديدة التى كان عليه مواجهتها في صراعه مع هنري الرابع⁽⁴⁾.

وسرعان ما وقعت المواجهة بين البابا والإمبراطور، وانتهى الدور الأول من النزاع بينهما بخضوع هنري الرابع لغريغوري السابع في كانون ثانى 1077 م، فيما يعرف في التاريخ الأوروبى بإذلال كانوسا (Canossa). وكانوسا قلعة منيعه في دوقية توسكانيا (Tuscany) في شمال إيطاليا. كانت من أملاك الكونتس (Countess)⁽⁵⁾، ماتلدا (Matilda) التى خلد اسمها في الغرب وفي حوليات الصليبيين المبكرة، بسبب دورها في تأييد البابوات الذين صاغوا الأيدولوجيا الصليبية، وفي النزاع ما بين البابوية والإمبراطورية. وفي سنة 1052 مات أبوها الكونت بونيفيس (Boniface) صاحب قلعة كانوسا، وأخوها الأكبر وأختها، فبقيت ماتلدا وريثة وحيدة لأملاك عائلتها⁽⁶⁾.

وبعد سنتين على وفاة أبيها تزوجت أمها بياترس (Biatrice) من جودفري (Godfrey)، دوق اللورين الأعلى، عدو الإمبراطور هنري الثالث (1039-1056م). فاختطفها الإمبراطور سنة 1055م، وأخذهما رهنيتين إلى ألمانيا، ثم أطلق سراحهما في السنة التالية بعد أن تصالح مع جودفري قبل وفاته ببضعة أشهر⁽⁷⁾.

ولما مات الدوق جودفري سنة 1069، تزوجت ماتلدا ابنه جودفري الأحذب، وأقامت معه في اللورين حتى مات طفلها، وعادت إلى إيطاليا لتحكم أملاكها مع أمها حتى ماتت الأم سنة 1076م. وقد كان والد ماتلدا نصيراً للبابا لعدة من السنين، ولكنه مال إلى جانب البابوات خلال المنازعات الحزبية التى مزقت إيطاليا. وبقيت ماتلدا مخلصه للبابوية حتى أصبحت صديقة مقربة جداً للبابا غريغوري السابع.

وقدّمت له دعماً كبيراً أثناء صراعه مع الإمبراطور هنري الرابع. وفي قلعة كانوسا في توسكانيا التقى هنري الرابع البابا غريغوري السابع في كانون ثاني 1077م، في مواجهة ربما هي الأكثر إثارة في تاريخ هذه الحقبة. فالإمبراطور خانع ذليل نادم حافي القدمين في الثلج يرتدي ثياباً رثة يقف بالباب يطلب العفو من البابا، الذي لم يسمح له بالدخول لثلاثة أيام إلا بعد تدخل بعض مرافقيه وتدخل ماتلدا نفسها. فرفع البابا قرار الحرمان الذي كان أصدره بحق الإمبراطور، ووعد الأخير بإصلاح طريقه وكان ذلك أقصى درجات خزي الملكية أمام سطوة الكنيسة، التي لا يستطيع أي جبار في الغرب أن يواجهها إلا بالتوبة والندم⁽⁸⁾.

ولما عاد غريغوري السابع وأصدر قراراً ثانياً بحرمان هنري الرابع سنة 1180 م، كان رد الإمبراطور مختلفاً هذه المرة. فقد أعد جيشاً وقاده إلى إيطاليا، ودخل روما، وخلع غريغوري السابع، وعيّن بابا جديداً مؤيداً له، هو وايبيرت (Wibert)، أسقف مدينة رافينا (Ravenna) في شمال إيطاليا، باسم كلمنت الثالث (Clement III). فتسلّم هنري الرابع لقب إمبراطور من البابا الجديد. أما غريغوري السابع فهرب إلى حليفته ماتلدا، وبقي هناك فترة من الوقت. فوجدت ماتلدا نفسها في حرب مع الإمبراطور حتى موته سنة (1106م). وكانت أحياناً ترتدي الدروع، وتقود جنودها بنفسها. وأُرسلت في سنة (1082م) جزءاً من أموال خزينتها إلى روما لتمويل العمليات العسكرية البابوية⁽⁹⁾.

ولما لحق غريغوري السابع بحلفائه النورمان في جنوبي إيطاليا وصقلية ومات في سالرنو (Salerno) سنة 1085 م، مرت البابوية بأزمة منذ سنة 1085 م وحتى سنة 1088 م شغل كرسي البابوية فيها فيكتور الثالث (Victor III)⁽¹⁰⁾. وبعد ذلك اختار الكرادلة أوربان الثاني لمنصب البابوية. وقد شابه غريغوري السابع في إصلاحاته واعتمد مثله على دعم ماتلدا التوسكانية. فلما دخلت القوات الإمبراطورية المؤيدة للبابا كلمنت الثالث روما سنة 1088 م، توجّه أوربان الثاني إلى النورمان في جنوبي إيطاليا، وابتدأ تشكيل جبهة من أعداء الإمبراطور لمقاومته. ففي سنة 1089م رتب أوربان الثاني زواج تحالف سياسي ما بين ماتلدا وهي في الثالثة والأربعين، وبين الدوق ولف الخامس (Welf V)، دوق بافاريا (Bavaria) وكورنثيا (Coranthis) في جنوبي شرق ألمانيا، وهو فتى في السابعة عشرة، وانفصلا بعد ست سنين⁽¹¹⁾.

ورداً على ذلك التحالف اجتاح هنري الرابع أملاك ماتلدا في الفترة ما بين 1090م و 1092م، وسيطر عليها عدا قلعة كانوسا التي فشل الإمبراطور في اقتحامها⁽¹²⁾. وفي سنة 1093 م شجعت ماتلدا الأمير كونراد (Conrad) ابن هنري الرابع على الثورة ضد أبيه، وأغرته بأن يأخذ تاج إيطاليا. وشجعت كذلك ابنه الآخر الأمير هنري، الإمبراطور هنري الخامس فيما بعد (1106-1125م) على الثورة ضد والده الشيخ. وفي سنة 1106م مات الإمبراطور هنري الرابع، ووضع الموت نهاية لأحزن فترة حكم في

التاريخ الأوروبي، بعد تنازل مهيمن عن العرش لابنه هنري الخامس. وقد تصالحت ماتلدا مع الإمبراطور الجديد وكافأته بأن تنازلت له عن أملاكها سنة 1110م، التي كانت قد سبق لها أن منحتها للبابوية، مما أجب العداة بين الأباطرة والبابوات⁽¹³⁾.

وفي آخر الأمر، أفلحت جهود البابا أوربان الثاني وحلفائه في استعادة الكرسي البابوي وإبعاد منافسة عنه. وكان لماتلدا التوسكانية مساهمة واضحة في ذلك الفوز، أثنى عليها مؤرخ الحملة الصليبية الأولى فوشيه الشارترى (Fulcher of Charters) حيث يقول: "وقد ازداد جيبرت (كلمنت الثالث) غطرسة بحكم تبوئه المركز الرئيسي في الكنيسة. ولكن أظهر تساهلاً مع أهل الخطيئة. ومارس ظلماً أعمال منصب البابوية مع جماعته، وهزأ بأعمال أوربان وأبطل مفعولها ولكن أوربان في العام الذي مر به الفرنجة في روما (1096م) في طريقهم إلى القدس، استولى على السلطة الكنسية بمساعدة سيدة فاضلة اسمها ماتلدا كانت في تلك الفترة واسعة النفوذ في منطقة روما التي انحدرت منها"⁽¹⁴⁾. وأما مساعدة ماتلدا لأوربان الثاني، التي أثنى عليها فوشيه الشارترى، فجاءت بعيد اجتماع كليرمونت سنة 1095م، وذلك حينما أمرت بإرسال قوة عسكرية من جندها لمرافقة البابا إلى روما لتوفير الحماية له في مطلع سنة 1096 م⁽¹⁵⁾.

وبقيت ماتلدا صديقة مخلص للكنيسة الإصلاحية حتى وفاتها سنة 1115م، وعملت على تأكيد الانتصار البابوي وحمانيته. ثم عادت قبيل وفاتها ومنحت ممتلكاتها في توسكانيا للبابوية، مما شكّل الأساس القوي لسيطرة البابوية على كثير من الأراضي. وقد دفنت بالقرب من مدينة مانتوا (Mantua) في حوض نهر بو (Podus أو Po) في شمال إيطاليا، وحظيت باحترام البابوات اللاحقين وتقديرهم⁽¹⁶⁾.

وإذا كان نشاط ماتلدا في تأييد الكنيسة الإصلاحية وبابواتها الذين أوقدوا نار الحرب ضد المسلمين لم يتعدّ حدود إيطاليا، فإن أخبار الحملة الصليبية الأولى وتداعياتها تذكر اسم أميرة شديدة التعصب، متقدة الحماس لم تتوجّه إلى الشرق مع "الحجاج" الصليبيين، ولكن أفعالها أدرجت اسمها مع بطلات الصليبيين، هي الأميرة أدिला (Adela) كونتس بلوا (Blois). وهي ابنة وليم الفاتح (ت 1086 م) (William The Conqueror)، دوق نورمانديا (Normandy) الذي فتح إنجلترا سنة 1066م، واستولى على عرشها⁽¹⁷⁾.

تزوجت أدिला من الكونت ستيفن، كونت بلوا (Stephen of Blois) سنة 1081م. ولما غادرت جموع الحملة الأولى إلى الشرق، انطلقت آخر القوى المشاركة فيها بقيادة روبرت بن وليم الفاتح، دوق نورمانديا في تشرين أول سنة 1096م، على رأس جيش كبير من الإنجليز والنورمان، ورافقه في هذه الحملة عدد من النبلاء منهم صهره، زوج أخته أدिला، ستيفن كونت بلوا⁽¹⁸⁾. وبعد سنة على انطلاق هذه الحملة، اجتمع الصليبيون على حصار إنطاكية في تشرين أول 1097م. وقد طال حصار هذه المدينة

وامتد حتى آخر حزيران 1098م. وواجه الصليبيون خلال فترة الحصار العديد من المصاعب، أهمها المجاعة التي اضطرتهم إلى أكل الأطعمة القذرة والحيوانات النافقة⁽¹⁹⁾.

وبحجة طول فترة الحصار وصعوبة الظروف رأى بعض القادة ومنهم ستيفن كونت بلوا أن يعودوا إلى بلادهم، وغادروا قبيل سقوط أنطاكية بأيدي الباقين بقليل. وقد سجل فوشيه الشارترى أسفه وحزنه لمغادرة ستيفن ميدان المعركة، وذكر نبلة وعراقته وشدة بأسه. ولكنه عبّر بوضوح عن احتقاره له بسبب مغادرته حيث يقول: "ثم ترك ستيفن بلوا الحصار وأبحر إلى دياره في فرنسا وقد أصابنا جميعاً الأسى لذلك، لأنه كان رجلاً عريقاً نبيلاً شديد البأس. وفي اليوم التالي لسفره استسلمت أنطاكية للفرنجة. ولو أنه ثابر لأصابه فرح عظيم مع الآخرين. إذ أن فعلته جلبت عليه الاحتقار فالبداية الحسنة لا تجد المرء إن لم ينته نهاية حسنة"⁽²⁰⁾.

وأما وليم الصوري فقد حمل على ستيفن كونت بلوا، وأفاض في نمه ورماء بالجبين والكذب وادعاء المرض ليعود إلى بلاده، ملحقاً العار بسمعته وسمعة عائلته. وأضاف في سياق هجومه عليه أنه لم يكتفِ بما فعل فقط، بل ذهب لمقابلة الإمبراطور البيزنطي، الذي كان عقد العزم على قيادة جيشه والتوجه إلى أنطاكية للمساعدة في الاستيلاء عليها. فألقى ستيفن خطاباً أمامه بالغ فيه في وصف الحالة السيئة للصليبيين. فأوهن بتخاذله عزم الإمبراطور، فغير رأيه⁽²¹⁾.

لم يكن ستيفن موضع احتقار مؤرخي الصليبيين فقط بل عاش واقع الاحتقار من جانب زوجته الأميرة أديلا، التي شعرت هي نفسها بالخزي والعار من فعل زوجها، الذي نكث عهده وحنث في يمينه، وفّر جيناً وخوفاً من مواجهة المسلمين. فقد كذب وادعى المرض وعاد إلى فرنسا، بينما كان رفاقه يشقون طريقهم بحد السيف ويحققون الانتصارات والمكاسب. فبلدوين (Baldwin) أصبح أميراً للرها، وبوهمند (Bohemond) أصبح أميراً لأنطاكية، وجودفري (Godfrey) أصبح حاكماً للقدس⁽²²⁾.

لم تستسلم أديلا للأمر الواقع بل راحت تنقذ زوجها بضرورة العودة إلى الديار المقدسة لينقذ سمعته وسمعة عائلته من العار الذي تلطخت به جراء فعلته. وأخذت تلح عليه في هذا الأمر الخطير حتى في حجرة نومهما، علّه يحوم لحق به من عار. ولم يكن ستيفن ليجرؤ على الادعاء بأن وجوده ضروري في أملاكه، لأن أديلا كانت هي الحاكم الفعلي لها. وأخيراً وتحت ضغوط أديلا وإلحاحها عاد ستيفن إلى الشرق في ربيع سنة 1102م. وقد لحق بمملكة القدس اللاتينية، واشترك مع الملك بلدوين الأول (1100-1118م) في هجومه الثاني على الرملة في أيار 1102م (شعبان 495 هـ). وقد هرب الملك الصليبي، وأوقع المسلمون بقيادة شرف المعالي بن الوزير الفاطمي الأفضل بالقوة الصليبية وأمعنوا فيها قتلاً⁽²³⁾. فكان ستيفن كونت بلوا من بين القتلى.

وبعد مقتل ستيفن في موقعة الرملة الثانية تغير الموقف تجاهه كلياً، فالذين هاجموه بعد فراره رثوه وأسفوا لمقتله. ففوشيه الشارترى يقول في ذلك: "آه كم خسرنا من النبلاء وشجعان الفرسان في تلك الكارثة خسرناهم في الاشتباكات الأولية ثم أثر ذلك في البرج السابق الذكر. فقد قتل ستيفن بلوا الرجل الشجاع النبيل، وستيفن الآخر كونت بيرجندي"⁽²⁴⁾. وكما كان هجوم وليم الصوري على ستيفن أعنف، جاء رثاؤه له أبلغ، حيث يقول: "سقط الستيفنان في ذلك الاشتباك مع نبلاء آخرين لا نتذكر أعدادهم وأسماءهم، ونشعر أن المصير الذي لاقاه الكونت ستيفن أوف تشارتر"⁽²⁵⁾، وهو النبيل البارز بين شعبه بسبب نسبه المشهور وبسبب أعماله المجيدة كان مصيراً جديراً بالتهنئة، فمن الواضح أن الرب عامله تبعاً لرحمته الواسعة، لأنه سمح له أن يمحو بموت رائع وصمة العار التي وصم اسمه بها بسلوكه عندما تخلى عن القوات أمام أنطاكية. وينبغي عدم إثارة أثمه السابق ضده لأنه أنقذ سمعته بمثل هذه النهاية الرائعة ونعتقد بالفعل أن الذين يسقطون في صفوف المؤمنين ويقاتلون مع المحاربين من أجل الصليب ومن أجل اسم المسيح لا يستحقون أن يمحي الخزي من سجلاتهم فحسب بل جميع أعمال التقصير والآثام مهما كان نوعها"⁽²⁶⁾.

وأما أدبلاً، هذه الأميرة الصليبية بالإنابة، بالغة الحماس والتعصب فقد بدلت خزيها تيبهاً وفخراً، وهذأت بالاً وقرت عيناً بعد مقتل زوجها في ساحة المعركة، واستطاعت بعد ذلك أن تنام هادئة مطمئنة قريرة العين"⁽²⁷⁾. وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أنه بالرغم من قلة المتعلمين في الغرب الأوروبي في هذه الفترة، فقد كان ستيفن متعلماً، وربما كان شاعراً، وأرسل رسائل إلى زوجته تعد من روائع الأدب الصليبي"⁽²⁸⁾.

وقد استمر حماس الأميرة أدبلاً للحركة الصليبية، واستمرت علاقاتها بزعماء الحركة وأمرائها بعد مصرع ستيفن. فعندما عاد أمير أنطاكية، بوهمند الأول إلى أوروبا في خريف سنة 1104م، التقى أدبلاً، وقدمته إلى أخيها الملك هنري الأول (Henry I)، ملك إنجلترا (1100-1135م)، الذي أمدّه بعدد من الفرسان، ورتب له زواج تحالف سياسي من الأميرة كونستانس (Constance)، ابنة الملك الفرنسي فيليب الأول (Philip I 1060-1108م)، التي أنجبت له في السنة التالية ابنه ووريثه بوهمند الثاني"⁽²⁹⁾.

وبالعودة إلى مقتل ستيفن في ساحة المعركة فقد صار مجدداً مضافاً لأدبلاً ابنه وليم الفاتح، ولابنها الذي حمل اسم أبيه نفسه، ستيفن، وورث كونه بلواً، حتى كان أحد الأقطاب المرشحين للعرش الإنجليزي بعد خاله هنري الأول. وقد فاز به وارتي العرش الإنجليزي تسعة عشر عاماً (1135-1154م)، تستذكر في التاريخ الإنجليزي بأنها سنوات فوضى واضطراب وحرب أهلية مع ابنة خاله، الامبراطورة ثم الكونتس ماتلدا ابنة هنري الأول"⁽³⁰⁾، وأم الملك الإنجليزي هنري الثاني (1154-1189)، الذي قدر له عن طريق أمه أن يكون حلقة الوصل ما بين أوائل الملوك والملكات من رعاة الحركة الصليبية وأواخرهم، نظراً

لامتداداته في الأسر المالكة في أوروبا بواسطة بناته وحفيداته. وسيصار إلى إيضاح ذلك لاحقاً بعد رصد دور مغامري النورمان في صقلية في هذا الموضوع حفاظاً على السياق التاريخي.

وكما هو الحال تتشابه الرغبة في توفير الدعم للصليبيين في مملكة بيت المقدس مع المطامح الشخصية للأسر الحاكمة في ضم ممتلكات جديدة تخضع لتيجائهم. ولعلّ ما حصل للكونتس أدلايد (Adelaid) أرملة كونت صقلية، روجر الأول (Roger I) النورماندي (ت1101م) خير دليل على ذلك. فبعد موته ورثت أرملة أملكه وصية على ابنها روجر الثاني، كونت ثم ملك صقلية (1112-1154م)⁽³¹⁾.

وأدلايد هذه من أسرة الأليرماس سيدة منطقة مونفيرات بشمال إيطاليا. وحضر أخوها الأصغر ليحارب مع روجر الأول، كونت صقلية وتزوج أخته⁽³²⁾. ولما كانت هذه السيدة الأرملة من عائلة ثرية أصلاً، وورثت كونتية صقلية، كان لديها وفرة من كل شيء، وكان ملك القدس بلدوين الأول فقيراً معوزاً، فقد طمع في أملكها. فأرسل عدداً من نبلاء مملكته إليها سنة 1112م لدعوتها للزواج منه، وطلب منهم أن يوافقوا على أي شروط تشترطها. ولما عرضت الأمر على ابنها روجر الثاني، استحسنا هذا العرض. واشترطت على الوفد إذا انجبت طفلاً أن يكون وريث المملكة عند موت الملك، وإذا لم يرزق وريثاً من ذلك الزواج يكون ابنها، روجر الثاني هو الوريث. وقد وافق مبعوثو الملك بلدوين الأول على شروط ادلايد، واستعدت للسفر، وزودها ابنها بما تحتاج إليه، وأقلعت سُنْفُها تحمل المؤن والفرسان تحت حراسة شديدة. وحملت هي مبلغاً كبيراً من المال، ووصلت عكا في السنة التالية 1113م⁽³³⁾.

ومن الجدير بالذكر أن بلدوين الأول كان متزوجاً من الأميرة الأرمنية أردا (Arda)، ابنة توروس (Thoros)، أمير الرها، منذ سنة 1098م⁽³⁴⁾. ولما كان الزواج وفق القانون الكنيسي رباطاً روحياً ومنحة إلهية لا يجوز فسخ عراه إلا في حالة ارتكاب الزنا⁽³⁵⁾، فإن بلدوين الأول وبالتعاون مع بعض رجال الدين لم يعدم الوسيلة. فطلق زوجته الأرمنية وأجبرها على أن تصبح راهبة في دير القديسة حنة في مدينة القدس⁽³⁶⁾.

وتضطرب أخبار وليم الصوري اضطرارياً يقارب التناقض حيال طلاق بلدوين الأول لأردا⁽³⁷⁾. ويؤكد في أكثر من موقع طمعه في ثروة أدلايد ونفوذها، وأن زواجه منها ما هو إلا مكيده شريرة للاستحواذ على أملكها ويقول: "... وكانت هذه خطة استتبها البطريرك آرنولف ببراعة... لخداع هذه السيدة الشريفة والنبيلة، فمن المستحيل أن تتكر أنه قد غرر بها، حيث اعتقدت ببساطة شخصيتها، أن الملك كان في وضع يمكنه فيه من الزواج منها بشكل شرعي، غير أن هذا كان بعيداً جداً عن الواقع، لأن الزوجة التي كان قد تزوجها بشكل شرعي في الرها كانت ما تزال على قيد الحياة. وجددت الإيمان والأقسام بعد أن نزلت الكونتس، وبالطريقة ذاتها التي كانت استخدمت في صقلية من قبل، وبحضور الملك والبطريرك

والرجال البارزين في المملكة، إلا أن الرب أخذ بعين الاعتبار هدف هذا الزواج، لأنه تم بنية شريرة وبرغبة سيئة، فلم يمنح الله هذه المرأة نعمة الإنجاب العادية في المملكة على الرغم من أنها كانت بريئة، وحل الأسى في النهاية محل الفرح...⁽³⁸⁾.

مرض بلدوين الأول مرضاً خطيراً سنة 1116م، بعد ثلاث سنين على زواجه من أدلايد دون أن يرزق بطفل يرث العرش. ولعل إحساسه بالذنب ووخز الضمير تجاه أردا في لحظة ضعف أثناء مرضه، تلاقى مع رغبة نبلاء مملكته الذين كانوا يفضلون أن يذهب العرش إلى بلدوين لا بورج (Baldwin de le Bourge) أمير الرها وليس إلى روجر الثاني⁽³⁹⁾، لعل ذلك جعله يرجع عن عودته لأدلايد، التي أشير عليه بصرفها واسترجاع زوجته السابقة. واستجاب بلدوين الأول لتلك المشورة، واستدعى أدلايد وشرح لها المسألة، وانتهى الأمر بطلاقها فرجعت إلى صقلية حزينة خاسرة. وبين وليم الصوري ذلك بقوله: "ثم استدعى الملكة (أدلايد) إليه وشرح المسألة بشكل كامل لها... واستاعت كثيراً بأن تم استدعاؤها من بلادها من أجل لا شيء بعد أن خدعها نبلاء المملكة الذين كانوا قد أرسلوا لاستدعائها واستعدت للعودة لبلادها في العام الثالث التالي لوصولها إلى سورية والأسى والحزن يغمرانها بسبب الإساءة التي لحقت بها. بالإضافة إلى خسارة ثروتها التي ذهبت هباءً منثوراً، وغضب ابنها غضباً شديداً يفوق التصور لأنها قد أعيدت. وحمل كراهية شديدة ضد المملكة وشعبها..."⁽⁴⁰⁾.

رجعت أدلايد إلى صقلية بعد أن خسرت كل شيء دون أن تظفر بعرش مملكة بيت المقدس لابنها. ولهذا وقف روجر الثاني وشعبه من النورمان في صقلية موقفاً معادياً من مملكة بين المقدس فترة من الوقت سجله وليم الصوري قائلاً: "... هذا وعزّز أمراء مسيحيون آخرون في أجزاء متنوعة من العالم قوة دولتنا وشدوا من أزرها إما بالقدوم شخصياً أو بإعطاء هبات سخية، إلا أنه وورثته لم يتصالحوا معنا حتى الوقت الحالي ولو لمدى كلمة ودية واحدة. فعلى الرغم من أنه كان بإمكانهم تخفيف فائقنا بالنصيحة والمساعدة بسهولة أكثر من أي أمير آخر، إلا أنهم تذكروا دائماً مظالمهم وانتقموا بجور من الشعب بكامله بسبب خطيئة فرد واحد"⁽⁴¹⁾.

وإذا تبو أدلايد بصورة الضحية المثيرة للشفقة جراء ما تعرضت له من خداع، فإن تدقيق النظر في هذه المسألة يشير إلى غير ذلك. ويبدو أنها لم تكن أكثر من تاجر غر، إن لم يكن سانجاً في سوق يعج بالمحتالين والمرايين الذين يصرفون بضائعهم بالخداع والأيمان الكاذبة. وعلى ذلك فهي وابنها من جنس هؤلاء، نزلا السوق لشراء عرش مملكة اغتصبت من أرض المسلمين، ولكن قوى السوق كانت أكبر منهما فخرسا. وأما العداء الذي حصل ما بين مملكة بيت المقدس وصقلية، فسرعان ما تبدد وعادا للتعاون في محاربة المسلمين. وهذا وليم الصوري نفسه الذي ذكر ذلك آنفاً يتحدث عن أسطول من مائتي سفينة أرسله ملك صقلية في آب سنة 1174 لمهاجمة الإسكندرية وفشل في الاستيلاء عليها وتكبد خسائر

جسيمة⁽⁴²⁾، فبالرغم من التناقضات بين القوى الأوروبية، فإنها ما تلبث أن تنتاساها أو تؤجلها إذا ما تعلق الأمر بتوجيه ضربة للمسلمين.

وإذا كشفت حالة ادلايد بعض قيم المجتمع الأوروبي الذي أفرز الحركة الصليبية، المنحرفة دينياً والمنحطة أخلاقياً فإنها تتضح أكثر فأكثر في حالة الملكة إليانور الأكتانية (Eleanor of Aquitaine). فهي ابنة الدوق وليم العاشر (William X)، دوق أكتانيا (Aquitain) وكونت بواتيه (Poitiers)، الذي كان يسيطر على أراضٍ في فرنسا أوسع من تلك التي كانت بإمرة الملك. ولما مات سنة 1137 م، ورثته ابنته في أملاكه. وتزوجت في السنة نفسها من الملك الفرنسي لويس السابع (Louis VII) (1137-1180)، وضمت أملاكها إلى أملاكه فصارت ملكة فرنسا، ودام زواجهما خمس عشرة سنة. ولما كانت جميلة مدللة متقلبة المزاج، فقد مارست نفوذاً كبيراً على الملك، وأقحمته في خوض مغامرات خطيرة منها قيادة الحملة الصليبية الثانية⁽⁴³⁾.

رافقت الملكة إليانور زوجها الملك لويس السابع على رأس الحملة الصليبية الثانية (1147-1149م)، التي انطلقت لحماية مملكة بيت المقدس بعد استعادة عماد الدين زنكي للرها سنة 1144م (539 هـ). وما أن علم الكونت رايmond دي بواتيه (Raymond de Poitiers) كونت أنطاكية (1136-1149م)، وهو عم الملكة بعزم لويس السابع على القدوم على رأس حملته المزمعة حتى يادر بإرسال الهدايا والتحف إليه ليكسب مودته، معلقاً الآمال على ابنة أخيه ليساعده الملك على توسيع إمارة أنطاكية، وذلك بالاستيلاء على المدن المجاورة لها مثل حلب وشيزر وغيرها. ولهذا انتظر رايmond الملك عدة أيام قبل وصوله، واستقبله استقبلاً حافلاً⁽⁴⁴⁾.

وسرعان ما ظهر التعاطف بين الملكة وعمها، وأدرك الكونت أن آمال إمارته لا تعتمد على الملك لويس السابع وقوته المنتاقصة ومستشاريه الرهبان، بل على ابنة أخيه الملكة إليانور وأتباعها. وكونه ابن النظام المعقد في الوراثة الإقطاعية، فإنه كان يدرك جيداً التوتر السياسي القائم في ذلك النظام محاولاً الإفادة منه لمصلحة إمارته⁽⁴⁵⁾. وبموجب ذلك النظام كانت أملاك إليانور أكبر من أملاك زوجها. فقد كانت تسيطر على أكتانيا وبواتيه وجاسكوني (Gascony)، بينما كان الملك يسيطر فقط على أملاكه الموروثة عن عائلته وهي جزيرة فرنسا (Ile de France)، تلك المنطقة الصغيرة في شمالي وسط فرنسا حول باريس (Paris) و أورلينز (Orleans)، التي لم تكن أقوى من كثير من الإمارات التي كان ملوك فرنسا يدعون السيادة عليها⁽⁴⁶⁾.

ومهما يكن من أمر ابتدأت الملكة وعمها يعرضان انقطاعهما عن بعضهما البعض حوالي عشر سنين بلقاءات وأحاديث لساعات طويلة بلهجتهم المحلية، لهجة أهل جنوب فرنسا (Langue d'oc)، التي لم تكن مفهومة للفرنسيين (أهل جزيرة فرنسا). ولعلمهما وجدا نفسيهما خلال تلك اللقاءات منسجمين حيال

أهداف هذه الحملة الصليبية، وحيال شخصية الصليبي المثالي الذي جاء من الغرب لإنقاذ بيت المقدس. وحاولا اختبار تلك الرؤى في عمل موجه لصالح إمارة أنطاكية الصليبية⁽⁴⁷⁾.

كان الملك لويس السابع محرراً من استضافة رايمود له، ومن كرمه الذي لم يعرف حدوداً. ومع ذلك كان يسايره ويكسب الوقت دون أن يلزم نفسه بالخطط والأهداف التي تم اقتراحها في أنطاكية. وكلما كانت الملكة تعلن تأييدها لخطط رايمود، كلما كان الملك أكثر حزمًا في عدم مساندتها. وخلال الفترة التي كانت تتأقش فيها تلك الخطط العسكرية، كان لويس السابع ومستشاروه في غاية القلق من المحادثات الطويلة والحميمية التي تدور ما بين الملكة وعمها في لهجتهما، وتفيض لهفة واشتياقاً. ووجد بعض أهل بواتيه، الذين يفهمون تلك اللهجة، أن الحديث بين الكونت رايمود وابنة أخيه الملكة اليانور، لم يكن خطيراً فقط، بل ينضخ فسقاً وفجوراً ومروقاً⁽⁴⁸⁾.

وفي تلك الأجواء الحميمية لم يستغرب رايمود أن ابنة أخيه كانت مستاءة من موقعها كملكة لفرنسا، وأن عقلها ذهب باتجاه البحث عن بدائل وخيارات أخرى. فقد حرمت من نفوذها في مجالس الملك ليس فقط فيما يخص موقعها كملكة، وإنما فيما يتعلق بمساهماتها في دعم الحركة الصليبية⁽⁴⁹⁾. وعندئذ طالب رايمود بعقد اجتماع للنبلاء الفرنسيين ونبلاء أنطاكية لبحث الخطط العسكرية وأعاد طرح خطته السابقة. وبين سهولة مطلبه الذي سيجلب لهم في الوقت نفسه منافع وشهرة. أما الملك فأصر على تنفيذ رغبته في الذهاب إلى القدس للوفاء بنذره⁽⁵⁰⁾. ورد قائلًا: "لقد أقسمت أن أذهب إلى القبر المقدس. ولهذا الهدف تحديداً أخذت الصليب وجئت من بلادي وتحملت العديد من المصاعب، وليس لي النية بالقيام بأي حرب حتى أنجز حجي وبعد ذلك سأسمع أمير أنطاكية وغيره من النبلاء في سورية..."⁽⁵¹⁾

ولما سبق السيف العذل في مجلس الحرب المشار إليه، لم يعد هناك فرصة للمصالحة. وكان غضب رايمود الشديد واضحاً، لأن أهدافه أحبطت وأبدى كراهية لتصرفات الملك، وتآمر ضده، واعتمد جميع الوسائل لإيذائه، وقرر انتزاع زوجته منه بالقوة أو عن طريق التآمر⁽⁵²⁾. وعندما تبدلت معاملة رايمود للملك كان عليه أن يخرج من أنطاكية بسرعة. وفي هذا الوضع المضطرب طالبت الملكة بحضور جمهور يسمع ما تقول. وواجهت الملك بأبرز حدث في تلك الحملة، وذلك حين أبلغته أنها قررت فصل نفسها للتو واللحظة وفي المكان نفسه عنه، وأنها لن تذهب أبعد مما ذهبت، وأنها ستطرح جانباً تاجها المزين بالليلاك الفرنسي، وستستعيد أملاكها في دوقية أكتانيا وغيرها، وأنها ستبقى مع رايمود في قصره. كما أبلغت الملك أنهما قريبان لدرجة تحرم الكنيسة زواجهما عندها، وأنه سيضع روحيهما في الخطر بالإبقاء على زواج آثم⁽⁵³⁾.

كان المجلس الذي التجأ إليه الملك لويس السابع أكثر إدراكاً لدور رايوند في المشكلة التي أثارته الملكة. وبناءً على نصيحة نبلاته اتخذ جميع الاحتياطات لحماية حياته، وخرج من أنطاكية بصورة مهينة على عكس صورة دخوله إليها. واختطفت الملكة من قصر رايوند، ووضعت تحت الحراسة، وتوجهوا إلى القدس⁽⁵⁴⁾.

ويتضح من حجز الملكة ووضعها تحت الحراسة أن أمراً كريهاً حصل في أنطاكية. وترددت قصص مختلفة حول العلاقة الشاذة التي أقامتها مع عمها. ويذكرها وليم الصوري تعريضاً بقوله في سياق حديثه عن موافقتها على خطط رايوند: "وأبدت الملكة على الفور موافقتها على ذلك لأنها كانت امرأة حمقاء، وكانت جميع أعمالها وتصرفاتها من قبل ومن بعد تؤكد هذا، وتبرهن أنها كانت طائشة غير مبالية مما يتنافى مع مكانتها الملكية، حتى أنها لم تقم أي اعتبار لميثاق الزواج، ولم تكن مخلصاً لزوجها"⁽⁵⁵⁾. لكن هناك من ذكر صراحة أنها اقترفت الفاحشة مع عمها رايوند كونت أنطاكية⁽⁵⁶⁾. وهناك من عدها واحدة من أعظم الأمثلة على الوقاحة والاستهتار، ذلك أنها بعد الفضيحة التي اقترفت في الديار المقدسة لم تعد إلى مداراتها باللاحق بأحد الأديرة، وإنما تزوجت ثانية⁽⁵⁷⁾.

وهناك إشاعة أخرى ترددت حول هذه الملكة في ذلك الوقت، وهي أنها أغوت صلاح الدين الأيوبي، لأنها اعتقدت أنه يجب عليها أن تحول ذلك الخصم العنيد والعدو القوي إلى الديانة المسيحية، وأنها بذلك تحقق انتصاراً عظيماً سيفوق بكثير ما ستفعله كل القوى المسيحية⁽⁵⁸⁾. ولكن هذه الإشاعة ليست إلا واحدة من الإشاعات التي لفت سيرة هذه الملكة، لأن صلاح الدين كان في تلك الأيام طفلاً في العاشرة من العمر. ذلك أنه من مواليد سنة (532 هـ) 1137-1138⁽⁵⁹⁾.

أمضى لويس السابع وإليانور سنة في القدس، وعادا إلى فرنسا في صيف سنة 1149م، وجرت بينهما مصالحة مؤقتة. وعادا وانفصلا نهائياً في آذار 1151 م⁽⁶⁰⁾، وبين وليم الصوري ذلك قائلاً: "... وعقب عودته تذكر المساوي التي سببتها له زوجته أثناء الرحلة أو بالحري أثناء عملية الحج كلها، لهذا قرر إبعادها، ومنح الإنذن بطلاقها بشكل رسمي أمام أسقف المملكة بحجة قرابة بينهما تحظر الزواج"⁽⁶¹⁾.

ووفقاً للتقاليد الإقطاعية استعادت إليانور أملاكها في أكتانيا وغيرها. وبعد شهرين على طلاقها تزوجت شاباً يصغرها بعشر سنين⁽⁶²⁾، هو هنري بلانت أيجنت الأنجوي، كونت أنجو ودوق نورمانديا. وهو ابن جيوفري بن فولك الأنجوي، والإمبراطورة مائدا ابنة الملك الإنجليزي هنري الأول. وفي سنة 1154م ارتقى هنري الأنجوي هذا العرش الإنجليزي باسم هنري الثاني. ونجم عن ذلك الزواج أن اتحدت إنجلترا ونورمانديا وغرب فرنسا تحت حكمه فصار بذلك يسيطر على مقاطعات في فرنسا أكثر من تلك الخاضعة للملك الفرنسي نفسه⁽⁶³⁾. وبزواج إليانور وهنري الثاني تتصل السلسلة ما بين الأوائل والمتأخرين من الملوك والملكات الأوروبيين الذين رعوا الحركة الصليبية، وتنشعب في أوروبا، وتستمر

حتى تصفية الوجود الصليبي من بلاد الشام كما سنرى لاحقاً.

كان الملك هنري الثاني من أبرز الشخصيات وأعنفها في التاريخ الإنجليزي بوجه عام، ولم يكن من السهل العيش معه. وقد شابه جده الذي سمي على اسمه في كثير من الأمور، أهمها في هذا السياق خيانتته لزوجته. ورغم أنها هي الأخرى متقلبة المزاج، صعبة المراس، شأنها شأنه، فقد أنجبا ثمانية أطفال قبل أن يفترقا؛ خمسة من الذكور وثلاث من الإناث. والذكور هم: وليم مات وهو في الثالثة، وهنري، وريتشارد قلب الأسد، ملك إنجلترا (1189-1199)، وجيوفري دوق بريتاني، وجون الملقب فقير الأرض حتى مات أخوته فورثهم جميعاً، وارتقى العرش (1199-1216م). أما البنات فهن: مائلا تزوجت هنري الأسد دوق سكسونيا وبافاريا في المانيا، وإليانور تزوجت الفونسو الثامن (Alfonso VIII) ملك قشتالة، وجوان (Joan) تزوجت وليم الثاني ملك صقلية، وبعد موته تزوجت رايوند كونت تولوز (Toulouse). فصار أبناء إليانور الاكتانية وهنري الثاني وبناتهما وأحفادهما ملوكاً وملكات للبلاد الواقعة ما بين إنجلترا والقدس. ولذلك أطلق على إليانور لقب "جدة أوروبا"⁽⁶⁴⁾.

ولما وقع الخلاف ما بين إليانور وهنري الثاني اتبع الأبناء أمهم وثاروا على أبيهم⁽⁶⁵⁾. وبما أنها الملكة المتحمسة للحركة الصليبية التي غامرت بسمعتها لأجلها، فمن المنتظر أن تورث ذلك الحماس لأبنائها وبناتها وأحفادها وحفيداتها وتربيتهم على ذلك، لا سيما وقد امتد بها العمر وماتت سنة 1204 عن اثنين وثمانين عاماً. وتدخلت أثناء حكم أبنائها في كل شيء على عكس ما حصل مع زوجها اللذين أمر كل منهما بسجنها كما سبق ذكره. وما يهمنا في هذا الشأن أن ذريتها وهنري الثاني ستصغ ما تبقى من تاريخ الحركة الصليبية مع أبناء عمومته في مملكة القدس اللاتينية من ذرية الملك فولك الأنجوي.

إن فارس العصور الوسطى وفارس الحركة الصليبية، الملك ريتشارد قلب الأسد الذي منحه الأسطورة هذا اللقب وليس الوقائع التاريخية⁽⁶⁶⁾، هو ابن هنري الثاني وإليانور الاكتانية. وقد جمع ما بين عزم أبيه ودهائه وما بين زهو أمه وتعاليتها وشعورها بالعظمة⁽⁶⁷⁾. واشترك في الحملة الصليبية المعروفة بالحملة الثالثة أو بحملة الملوك، لاشتراك كل من الملك الفرنسي فيليب الثاني أغسطس (Philip II Augustus) (1180-1223م)، وإمبراطور ألمانيا فريدريك بربروسا (Fredrick Barbarossa)، (1152-1190م)، في تلك الحملة التي اتجهت إلى الشرق بعد انتصار السلطان صلاح الدين التاريخي في موقعة حطين سنة 1187 م (583 هـ) واستعادته لبيت المقدس بعدها بقليل. ووصلت تلك الحملة بعد أربع سنين⁽⁶⁸⁾.

غادر ريتشارد قلب الأسد في السنة نفسها التي تولى فيها الحكم، سنة 1189 مستجيباً لنداء البابوية في إنفاذ حملة إلى الديار المقدسة لأصلاح الوضع الذي نجم عن فتوحات صلاح الدين. وتوجه في السنة

التالية إلى صقلية ونظم حكومتها وأوضاعها بعد موت صهره، زوج أخته جوانا، الملك وليسم الثاني سنة 1190م، قبل وصوله بقليل. فقد كانت مصالحه في صقلية واحدة من بين أهم الروابط بين مملكتي النورمان في إنجلترا وصقلية. وبينما كان في صقلية تم عقد قرانه على أميرة إسبانية من نافاري (Navarre) تدعى برنجاريا (Berengaria)، التي اختارتها له أمه الملكة إليانور بدلاً من الأميرة الفرنسية أليس (Alice)، أخت الملك فيليب الثاني. وقد أحضرت الملكة إليانور برنجاريا إلى نابولي (Naples) في إيطاليا، وعادت بعدها إلى روما. أما برنجاريا فتوجهت إلى قبرص، حيث كان الملك ريتشارد بانتظارها. وتزوجا في 12 أيار 1191م، وتوجت برنجاريا ملكة لانجلترا. وما لبث الملك أن توجه إلى الشرق بعد مراسم الزواج، ثم تبعته زوجته بصحبة أخته الملك جوانا، ملكة صقلية الأرملة، حيث التحقتا به وهو مقيم في يافا⁽⁶⁹⁾.

كان المقترح أن يتزوج الملك ريتشارد الأميرة الفرنسية أليس، ولكن خلافات أمه الملكة إليانور مع العائلة المالكة في فرنسا، لا بل كراهيتها لها، حملتها على إلغاء ذلك الزواج قبل وقوعه، وزوجته برنجاريا السالفة الذكر، لأن الملكة كرهت أن ترى ابنها المفضل مرتبطاً بزوجة تنتمي إلى عائلة تبادلهما الكراهية. وادعت لإبطال ذلك الزواج أن الأميرة أليس كانت عشيقة لزوجها، الملك هنري الثاني. فكان ذلك أحد أسباب الخصام بين ريتشارد قلب الأسد وفيليب أغسطس. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل أن ريتشارد ادعى أن والده، هنري الثاني، أنجب ابنة من أليس، وأحضر عدداً من الشهود ليؤكد دعواه بأي وسيلة⁽⁷⁰⁾.

أقامت برنجاريا وجوانا مع الملك ريتشارد في الشرق حتى مغادرتهم عكا في 29 أيلول 1192م، متجهتين إلى فرنسا. وليس هناك معلومات عن أي نشاطات لأي منهما أثناء وجودهما في المنطقة. ولكن المتاعب التي تعرضتا لها على أيدي البيزنطيين في قبرص، كانت مبرراً لريتشارد لاحتلال الجزيرة، كما كانت كافية للنظر إليهما بإجلال وتقدير في الغرب ولاندراج اسميهما مع بطلات الصليبيين⁽⁷¹⁾.

وإذ يختفي اسم الملكة برنجاريا فجأة مثلما ظهر فجأة، فإن اسم الملكة جوانا سيلمح وسيتردد ليس فقط في الحوليات وكتب التاريخ الأوروبية وإنما في المصادر الإسلامية. وذلك عندما طرح أخوها الملك ريتشارد، فكرة تزويجها من الملك العادل بن أيوب، كآخر سهم في جعبته لاسترداد القدس. فيعد أن تمكن الصليبيون من احتلال عكا ثانية في تموز 1191م (جمادي الأولى 587هـ) عاد الملك الفرنسي فيليب أغسطس إلى بلاده، فأصبح الملك ريتشارد سيد الصليبيين. ورغم أنه قام بعدد من الأعمال العسكرية ضد المسلمين أهمها انتصاره في موقعة أرسوف في تموز 1191م (شعبان 587هـ)⁽⁷²⁾، إلا أن هدف الحملة الرئيس، وهو انتزاع مدينة القدس من المسلمين، لم يتحقق. ولأنه لم يستطع تحقيق هدفه بالقوة لجأ لطريق آخر، وفاجأ السلطان صلاح الدين باقتراح تزويج أخته التي كانت ترافقه، الملكة جوانا من الملك العادل بن

أيوب أخ السلطان على أن يكون مقر ملكهما بالقدس. وأن يعطيها أخوها بلاد الساحل التي بيده من عكا إلى يافا وعسقلان ويجعلها ملكة الساحل. ويكون ذلك مضافاً إلى ما بيد العادل من البلاد والإقطاع ويطلق الأسرى من الجانبين، ويعود الملك الانجليزي إلى بلاده وينتهي الأمر⁽⁷³⁾.

ولا ندري إن كان الملك ريتشارد استشعر أثناء المفاوضات شيئاً من العادل يوحى بموادة أو مسالمة شجعه على طرح هذا المقترح. والمهم أن العادل طار فرحاً عندما سمع بالأمر، ووصفه بأنه "عين الصواب"، وأرسل بهاء الدين بن شداد مع جماعة من الأمراء ليعرض الأمر على السلطان الذي وافق رغم اعتقاده أنه مكر وهزل من جانب الملك الانجليزي. يقول ابن شداد: "قلما مثلت بالخدمة السلطانية عرضت عليه الحديث وتلونا الرسالة بمحضر الجماعة المذكورين، فبادر بالرضى بهذه القاعدة معتقداً أن الابتكار لا يوافق على ذلك أصلاً، فإن هذه منه مكر وهزل، فكررت عليه الرضا بذلك ثلاث مرات وهو يقول نعم ويشهد على نفسه به"⁽⁷⁴⁾.

ولما وصل رسول السلطان إلى الملك الانجليزي حاملاً الرد بالموافقة على اقتراحه، وأبلغت الملكة بذلك، غضبت من ذلك العرض، واستكرته بحدة. يقول ابن شداد: "إن الملكة لما عرض عليها أخوها النكاح سقطت من ذلك وغضبت بسبه، وأنكرت ذلك إنكاراً عظيماً، وحلفت بدينها المعظم من يمينها أنها لا تفعل ذلك، وكيف تمكن مسلم من غشيانها، ثم قال أخوها: إن الملك العادل يتنصر. وترك باب الكلام مفتوحاً"⁽⁷⁵⁾.

ورغم ذلك فإن الملك الانجليزي لم ييأس، واعترف أن النصارى استكروا أن يزوج أخته من مسلم دون استشارة البابا، وذكر أنه سيرسل إليه بهذا الخصوص، فإن وافق فيها ونعمت، وإلا سيزوجه ابنة أخيه وهذا لا يحتاج موافقة البابا⁽⁷⁶⁾.

وأخيراً انتهى هذا المقترح إلى الفشل لأن الملكة جوانا العريفة في صليبيتها رفضت فكرة الزواج من مسلم رفضاً قاطعاً، كما أنه لم يكن من السهل أن يتنصر الملك العادل، وينتهي المشروع وفق رؤية الملك ريتشارد.

فشل مشروع زواج الملكة جوانا والملك العادل، ولكن الملك ريتشارد شغل نفسه في ترتيب شؤون الصليبيين الداخلية، وفي زواج آخر ذي علاقة بعرش مملكة بيت المقدس اللاتينية، رتبته بين أقاربه ليضمن بقاء التاج لدى واحد من ذويه. كيف لا وهو من بيت هنري الأنجوى وإليانور الاكتانية الذي قيل فيه في إنجلترا: "كانت الحرب متعتهم والزواج عملهم"⁽⁷⁷⁾.

وللوقوف على علاقة الملك ريتشارد بأزمة عرش مملكة بيت المقدس فلا بد من دخول متاهة الأنساب وتشعباتها. فهو ريتشارد بن هنري بن جيوفري بن فولك الأنجوي، الملك الرابع لمملكة بيت المقدس.

فالعرش عرش جده، يتصارع عليه زوجا ابنتي عم أبيه، الملك عموري الأول ابن فولك الأنجوي (Amalric I) (1186-1192م)، وهما: الملك جاي دي لوزينان (Guy de Lusignan) (1186-1192م)، زوج سبيل (Sybelle)، الذي أسر في موقعة حطين، وفقد حقه في التاج لوفاة زوجته سنة 1190م. ولأنه أصلاً لم يكن جديراً بالملك وواجه معارضة زعماء المملكة، فقد قرروا أن التاج أصبح من حق الوريثة الشرعية الباقية لعموري الأول، الأميرة إيزابيلا (Isebel) من زوجته البيزنطية ماريا كومنينيا (Maria Comnena). فانتزعت من زوجها همفري دي تورون (Humphrey de Thoron)، وزوجت إلى كونراد دي مونفerrat (Conrad de Montferrat)، الذي سيطر على صور، فأصبح ملكاً واغتيل على أيدي بعض الحشاشين سنة 1192م. ونشبت الأزمة بعد اغتياله مع جاي دي لوزينان الذي عاد يطالب بالعرش⁽⁷⁸⁾، فتدخل الملك ريتشارد فأرضى جاي دي لوزينان بمملكة قبرص التي كان انتزعها من البيزنطيين، وزوج إيزابيلا من هنري دي شامبين (Henry de Champagne). وهو ابن أخته ماري (Marie) من أمه من زواجها الأول بالملك الفرنسي لويس السابع، المشهورة بماري دي شامبين (Marie de Champagne) (ت 1198م)⁽⁷⁹⁾. وقد أصاب ابن الأثير عين الحقيقة حين قال: "... وهذا الكندي هو ابن أخت ملك إفرنيس من أبيه، وابن أخت ملك انكلتار من أمه"⁽⁸⁰⁾. فهكذا زوج الملك ريتشارد ابنة عم أبيه الملكة إيزابيلا⁽⁸¹⁾، من ابن أخته، هنري دي شامبين، وتولى حكم ما استرد من مملكة القدس (1192-1197م). ولم يتخذ لقب ملك⁽⁸²⁾. أما هدف الحملة الأساسي وهو انتزاع القدس من المسلمين فلم يتحقق.

ولتحقيق ما عجز عن تحقيقه الآباء والأجداد تأتي الملكة بلانش القشتالية (Blanche of Castile) (1188-1252م) لتكون مثلاً للأُم وللملكة العريقة في صليبيتها وتعصبها. لم ترافق الملكة بلانش حملة صليبية، ولم تزر الديار المقدسة مثلما فعلت جدتها إليانور الأكتانية وخالتها جوانا وخالها ريتشارد قلب الأسد. ولكنها من موقع الأم، ومن موقع الملكة الوصية على عرش ابنها، أسهمت في الحركة الصليبية في آخر أدوارها مساهمة جعلتها في مصاف كبار رعاة هذه الحركة.

جمعت الملكة بلانش المجد الصليبي من أطرافه. فهي ابنة ملك قشتالة الفونس الثامن (Alfonso VIII) (1185-1214م)⁽⁸³⁾. الذي أرق المسلمين بالأندلس، واستجد بالبابا انوسنت الثالث (Innocent III) (1198-1216م)، فاستجاب لندائه، وأنذر كل ملك أو أمير مسيحي يتأخر عن مساعدته، فأعلن الحرب الصليبية على المسلمين في الأندلس. فأوقع هؤلاء الهزيمة على الموحدين في موقعة العقاب في منتصف تموز 1212 م (منتصف صفر 609هـ)⁽⁸⁴⁾. وأما أمها فهي إليانور ابنة الملك الانجليزي هنري الثاني وإليانور الأكتانية⁽⁸⁵⁾.

ولدت بلانش سنة 1188 وعندما بلغت الحادية عشرة، حضرت جدتها الملكة إليانور الأكتانية إلى أسبانيا لتأخذ الأميرة الصغيرة إلى فرنسا، حيث رتبت لها زواجا بالأمير لويس بن الملك الفرنسي فيليب الثاني أغسطس، الذي سيرتقى العرش الفرنسي بعد أبيه باسم لويس الثامن (1223-1226م). وأصبحت بلانش فرنسية بموجب زواجها، لتغدو بمرور الزمن فرنسية في روحها وتطلعاتها، كاثوليكية وفيئة لمعتقداتها⁽⁸⁶⁾.

وبناءً على وصية الملك لويس الثامن الذي مات سنة 1226م، أصبحت أرملته الملكة بلانش ولية للعهد ووصية على ابنها القاصر، البالغ من العمر حينئذ اثني عشر عاماً. وهو الذي سيرتقى العرش الفرنسي باسم لويس التاسع (1226-1270م)⁽⁸⁷⁾.

وكان لويس هذا هو المولود الرابع للملكة بلانش. ولما مات الثلاثة الذين يكبرونه في سن مبكرة أصبح وريثاً للعرش الفرنسي، وتلقى عناية فائقة من والديه، ولا سيما من أمه. فقد تولى فرسان محترفون تعليمه الفروسية وركوب الخيل وفنون الصيد. وتولى مدرسون متخصصون تعليمه التاريخ التوراتي والجغرافيا والأدب القديم. وأما تعليمه الديني فتولته أمه الملكة بلانش بنفسها، لتضمن أن يكون ابنها مسيحياً مخلصاً وفياً لدينه. فلم يخيب الابن ظن أمه وجاء مثملاً لأرادت، حتى أشتهر في التاريخ الأوروبي باسم القديس لويس (St. Louis)⁽⁸⁸⁾.

حكمت الملكة بلانش وصية على ابنها حتى بلغ السن القانوني سنة 1234 ثمانين سنين. وقد وصفت بأنها امرأة حادة الذكاء ذات عزيمة لا تلين. فقد تمكنت من خلال مزجها الحاذق ما بين الحرب والدبلوماسية من إخماد ثورة النبلاء الفرنسيين في بداية حكم ابنها. كما أنها عادت وحكمت وصية، عندما غادر ابنها البلاد على رأس الحملة الصليبية التي قادها سنة 1248 م. ولما أبدته من مهارة وتمرس في فنون الحكم والسياسة، ذهب بعض المؤرخين إلى اعتبارها واحداً من ملوك فرنسا⁽⁸⁹⁾.

وحتى بعد أن بلغ لويس التاسع السن القانوني وصار يحكم بنفسه، بقي وفياً ومخلصاً لأمه. ولذلك استمرت الملكة بلانش لسنين عديدة تلعب دوراً مهماً في السياسة الفرنسية. وبعبارة أخرى حكمت فرنسا بين وصاية وهيمنة ربع قرن. وثمة شاهد يكشف بوضوح مدى الارتباط ما بين الملكة بلانش وابنها، وتأثيرها عليه والاعتراف بأهميتها وأهمية دورها، ليس فقط في عيونه بل في عين الرأي العام إن جاز التعبير. ذلك أنه على الرغم من أن لويس التاسع لم يرث التاج الملكي عن أمه، وإنما ارتقى العرش الفرنسي سليلاً شرعياً لعائلة كابيه (Capet) العريقة، فقد ورد ذكره في مدونة بواتيه الدستورية في القرن الثالث عشر باسم لويس بن بلانش "Louis son of Blanche"⁽⁹⁰⁾.

ورث لويس التاسع حماس أمه الديني وقوة بأسها، فجاء ملكاً قوياً حازماً عاقداً العزم على أن يحكم مملكته حكماً عادلاً، وأن يعلي من شأن القيم الأخلاقية فيها. وارتكزت سياسته وفقاً للتربية الدينية الصارمة التي تلقاها من أمه على أن ينشد السلم في بلاده، ولن يوجه كل طاقاته وإمكانياته للحرب الصليبية ضد المسلمين. ووفقاً للتشئة الدينية التي تربي عليها جاء الابن أكثر حماساً وربما أكثر تعصباً من أمه، بصورة تعيد للأذهان تعصب رجال الحملة الصليبية الأولى وقادتها⁽⁹¹⁾. وليس هناك ما هو أبلغ من الكنائس والكاتدرائيات،⁽⁹²⁾ التي بنيت في تشارتر وباريس، والإنفاق عليها دون حساب كدليل على شدة تدين هذه الملكة وابنها. وقد بلغ بهما الأمر أن تقمصا السيد المسيح والسيدة العذراء في الصور التي رسمت لهما. ففي إنجيل كتب وزُخرف لهما حوالي سنة 1235، تظهر الملكة بلانش وابنها جنباً إلى جنب. والملكة متوجة ومحجبة، تلتف بعباءة على سترة بسيطة، رافعة يديها وكأنها تتوسل لابنها، الذي يحمل في يديه كرة الملك وصولجانه. ويبدو مظهر الملكة في صورها نسخاً كاملاً لمظهر السيدة العذراء في الكاتدرائيات الفرنسية في ذلك العصر. وقد خُيل للفرنسي الذي يرتاد الكنيسة في العصور الوسطى أن الجنة تشبه قصر مليكه، المأهول بالنبلاء والنبيلات، والسيدة العذراء تحديداً، تشبه أم ملكهم. فقد عرفت الملكة بلانش بأنها مثال التدين الشديد حتى أنها عند موتها دفنت في ثوب راهبة⁽⁹³⁾.

ولعل من نافلة القول في هذا السياق أن الملكة بلانش لم تكتف بما فعلته مع ابنها من حيث الإشراف بنفسها على تربيته الدينية، وإنما تولت هي تربية أبنائه، وحرمت زوجة ابنها من تربية أبنائها⁽⁹⁴⁾. ويبدو أن الحرص الديني لهذه الملكة امتزج مع سطوة الملك وشهوة التملك، فسيطرت على المملكة الفرنسية قرابة ربع قرن، وهي تشبه في ذلك جنتها إليانور الأكتانية التي مارست نفوذاً واسعاً في عهدي ولديها ريتشارد وجون⁽⁹⁵⁾.

ومهما يكن من أمر، انتهز الملك لويس بن بلانش استرداد المسلمين لمدينة القدس سنة 1244م (642هـ) على يد السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب (1240-1249 / 637-647 هـ)، وقاد حملة غالبيتها الساحقة من الفرنسيين، وهاجم مصر في صيف سنة 1249م، وانتهت إلى الفشل⁽⁹⁶⁾. وما يعيننا من أمر هذه الحملة أن الملك الفرنسي اصطحب زوجته، الملكة مارغريت البروفنسية (Margert of Provence). وهي الابنة الكبرى لكونت بروفس، ريموند برنغار الرابع (Raymond Berngar IV). ولدت سنة 1221 م وتزوجت لويس التاسع سنة 1234م. وعلى الرغم من أن الملكة بلانش هي التي رتبت هذا الزواج، إلا أنها كانت تمثلئ غيرة من زوجة ابنها. وسيطرت عليها سيطرة تامة حتى أنها حرمتها من تربية أبنائها كما سبق ذكره⁽⁹⁷⁾.

وبعد أن هزم المسلمون جيش الملك الفرنسي ومزقوه قتلاً وأسرأ، كان لويس التاسع من بين الأسرى. وهنا قامت الملكة مارغريت بدور حاسم وبمجهود كبير عده مؤرخو الصليبيين بطولياً. فقد كان على الملك

أن يفتدي نفسه بالجلاء عن دمياط التي احتلها في بداية نزوله على الشاطئ المصري، وأن يفتدي جيشه بمليون بيزنط (Besant) ⁽⁹⁸⁾. وقد تم التوصل إلى هذا الاتفاق بفضل جهود الملكة مارغريت في ظروف عصيبة جداً. فنتيجة لعدم كفاية المؤن في دمياط ووجود الملك وإخوته في الأسر، عزم الجنويون والبنادقة الذين كانوا مع الحملة على إخلاء المدينة. وهذا يعني فيما لو تم عدم وجود شيء لتقديمه للمسلمين لعداء الملك. فاجتمعت الملكة مارغريت بقيادة الايطاليين واقترحت شراء كل المؤن المتوفرة في المدينة وتوزيعها على الصليبيين، فوافق أولئك القادة على البقاء، وشرعت هي على الفور بشراء المؤن، وكلفها ذلك أكثر من ثلاثمائة وستين ألف دينار ⁽⁹⁹⁾.

ومن الجدير بالذكر أن الملكة أجرت تلك المفاوضات وهي في حالة نفاس. فقد أنجبت ولداً بمساعدة فارس عجوز قام بدور القابلة، بعد ثلاثة أيام على استسلام الجيش الصليبي في المنصورة، أطلقت عليه اسم حنا أو بطرس الحزن (John or Peter Tristan) ⁽¹⁰⁰⁾.

وشأنها شأن العائلة التي ارتبطت بها، فقد كانت متقدة الحماس الديني. فيروى عنها أنها ركعت مرة على ركبتيها أمام أربع قطع من السجاد ظناً منها أنها آثار مباركة أهديت إليها من الأرض المقدسة. وأمام هذا المشهد ركم الفارس الذي أحضر تلك القطع هو الآخر أمام الملكة فنظرت إليه وقالت: "أنهض سيدي الفارس. فليس مثلك من يركع وهو يمتلك مثل هذه الآثار المقدسة" ⁽¹⁰¹⁾. وليس غريباً أن تركع الملكة الموهومة أمام قطع من السجاد العادي، فالوهم هو الذي جاء بها وبزوجها وبمن جاء معهم، وبمن جاء قبلهما وبعدهما إلى هذه المنطقة، التي أغرقت بالدم بسبب وهم هؤلاء امتلاكهم الحق والحقيقة، ووهم تفوقهم على الآخرين وتسويغ إيادتهم واحتلال أرضهم بمسوغات تستوحي من روح العصر الذي يشن فيه الهجوم.

وعلى أي حال فسّر الملك لويس التاسع هزيمته بأنها عقاب الهي عن ذنوبه ⁽¹⁰²⁾، وتوجه بعد إطلاق سراحه إلى الشام، وأقام فيها أربع سنين (1250-1254م)، ونظم خلالها أوضاع الصليبيين وحافظ على وجودهم فترة وجيزة مستفيداً من الخلافات بين الأيوبيين والمماليك ⁽¹⁰³⁾. وخلال إقامته في الشام ماتت أمه الملكة بلانش سنة 1252م. فأخذت زوجته الملكة مارغريت، بعد أن حررها موت حماتها من الكابوس الذي كان يخنفها، تتدخل في الشأن السياسي للمملكة. ورغم أن الملك كان يواجهها بالصد، إلا أنها استطاعت أن تفعل شيئاً لتحسين العلاقة بين زوجها وبين الملك الانجليزي هنري الثالث (1216-1272م) الذي تزوج أختها إليانور سنة 1263م، وأنجبت ابنهما إدوارد (Edward) سنة 1239. وهو الذي سيتولى العرش الانجليزي باسم إدوارد الأول (1272-1307) ⁽¹⁰⁴⁾.

وستستمر هذه السلالة مولعة بالحرب، مشحونة بالتعصب ضد المسلمين، حتى آخر أدوار الحركة الصليبية في النصف الثاني من القرن الثالث عشر. فلما لم يرتدع لويس التاسع مما جرى له في مصر، وأراد أن يفعل شيئاً يعيد له هيئته، جهّز حملة وخرج بها في صيف سنة 1270 م إلى تونس، ومات هناك، وانتهت الحملة إلى الفشل⁽¹⁰⁵⁾. فأضاف القديس لويس بن بلانش إلى سجله فشلاً آخر. وقد خرج الأمير ادوارد بن هنري الثالث المشار إليه أعلاه على رأس قوة صغيرة قوامها ألف مقاتل لمشاركة لويس التاسع، زوج خالته في حملته. وانتهت الحملة الفرنسية في تونس إلى ما انتهت إليه. أما الأمير ادوارد فوصل إلى عكا سنة 1271م. ولما كانت قوته صغيرة لا تستطيع أن تفعل شيئاً، فقد شن بعض الغارات ضد المسلمين وعاد إلى بلاده⁽¹⁰⁶⁾.

وما يعنيها من حملة الأمير ادوارد هذه هو أن زوجته الياصور القشتالية رافقته في هذه الحملة. وهي قريبة له تجري في عروقتها دماء السلالة نفسها التي ينتمي إليها. فهي ابنة ملك قشتاله فرناند الثالث (Ferdinand III) المشهور بالقديس فرناند. ولد سنة 1201 م، وتولى عرش قشتاله سنة 1217 م وحتى وفاته سنة 1252 م. أبوه الفونسو التاسع ملك ليون (ت 1230م)، وأمّه الملكة برنجيلا (Brengeula)، ابنة الفونسو الثامن، ملك قشتاله والياصور ابنه هنري الثاني والياصور الاكثانية⁽¹⁰⁷⁾. وقد آل العرش لبرنجيلا بعد وفاة أخيها الملك الطفل انريك (Enrique) في منتصف سنة 1217م. ولما طمع طليقها ملك ليون في مملكتها، استدعت ابنها فرناند من عند أبيه في ليون وتنازلت له عن العرش بعد أقل من شهر على توليها⁽¹⁰⁸⁾. وكان على فرناند أن يشن حرباً على أبيه الذي كان يدعمه عدد من نبلاء قشتاله لإثبات حقه في عرش مملكة أمه. وتصلح مع أبيه في السنة التالية، واتفقا على التعاون لمحاربة المسلمين. وأخيراً اتحدت ليون وقشتاله تحت حكمه بعد موت أبيه سنة 1230 م⁽¹⁰⁹⁾.

كان فرناند الثالث صليبياً متحمساً شديد التعصب ضد المسلمين. وحاز لقب قديس مثل ابن خالته لويس التاسع. كيف لا وهو الذي يُعد أعظم ملوك قشتاله، وقاهر الأندلس الحقيقي، ومحطم سيادة الموحدين. فقد استولى على قرطبة سنة 1236م وعلى مرسية سنة 1237 وعلى جيان (Jaen) سنة 1246م وعلى اشبيلية سنة 1248م. ووضع جميع الإمارات الإسلامية تحت حمايته بما فيها غرناطة. فكان هذا الملك القديس مثلاً في الغدر والحيل والخداع وحتى الخسة في تعامله مع المسلمين⁽¹¹⁰⁾.

وبالعودة إلى الياصور القشتالية فقد ولدت سنة 1246 وحملت اسم جدتها الياصور ابنة هنري الثاني. وتزوجت الأمير ادوارد الإنجليزي سنة 1254. وهو ادوارد بن هنري الثالث بن جون بن هنري الثاني. أي كانا قريبين من الدرجة الرابعة⁽¹¹¹⁾. وأقامت الياصور القشتالية مع زوجها في عكا حتى سنة 1273. وليس هناك ما يشير إلى شيء مما فعلته أثناء وجودها في المنطقة. ولكن شهرتها جاءت ليس فقط من مرافقتها لآخر حملة إنجليزية بل من قصة إسطورية وضعت بعد حوالي قرن على الحملة. ومفادها أن

زوجها الأمير إدوارد تعرض لطعنة بخنجر مسموم من أحد الحشاشين فسارعت هي إلى امتصاص السم من جرح زوجها⁽¹¹²⁾.

ولما ارتقى الأمير إدوارد العرش الإنجليزي بعد موت أبيه سنة 1272 م، توجت إليانور القشتالية ملكة لانجلترا. وقد فجر إخلاصها له طاقاته في الإخلاص لها على أفضل ما تكون بعد موتها سنة 1290م. فقد أمر في سنة 1300م بإقامة عدد من النصب التذكارية لتخليد ذكراها في العديد من المواقع. كما أقام لها تمثالاً في ويستمنستر (Westminster)، إحدى ضواحي لندن حالياً⁽¹¹³⁾. فقد دللها بعد موتها بتلك النصب مثلما كانت مدلة في حياتها. فيذكر أنه عندما تزوجت أسكنت في شقة مكسوة بالطيلسان والحريز والمنسوجات المزخرفة وكأنها معبد. وحتى أرضها فرشت بالسجاد الفاخر المزخرف. وتولى تنفيذ ذلك حرفيون وعمال أسبان وفق عادات بلادهم⁽¹¹⁴⁾.

ماتت الملكة إليانور القشتالية في 28 تشرين ثاني 1290⁽¹¹⁵⁾. وقبل أقل من ستة أشهر على موتها أنهى المسلمون الوجود الصليبي في بلاد الشام، وذلك بفتح عكا يوم 20 أيار 1291م (19 جمادي الأولى 690هـ)⁽¹¹⁶⁾. ولكن ذكرى مملكة بيت المقدس اللاتينية، وفكرة الحرب الصليبية لم تمت في الغرب الأوروبي لتعود ويعبر عنها بأشكال مختلفة في العصور اللاحقة.

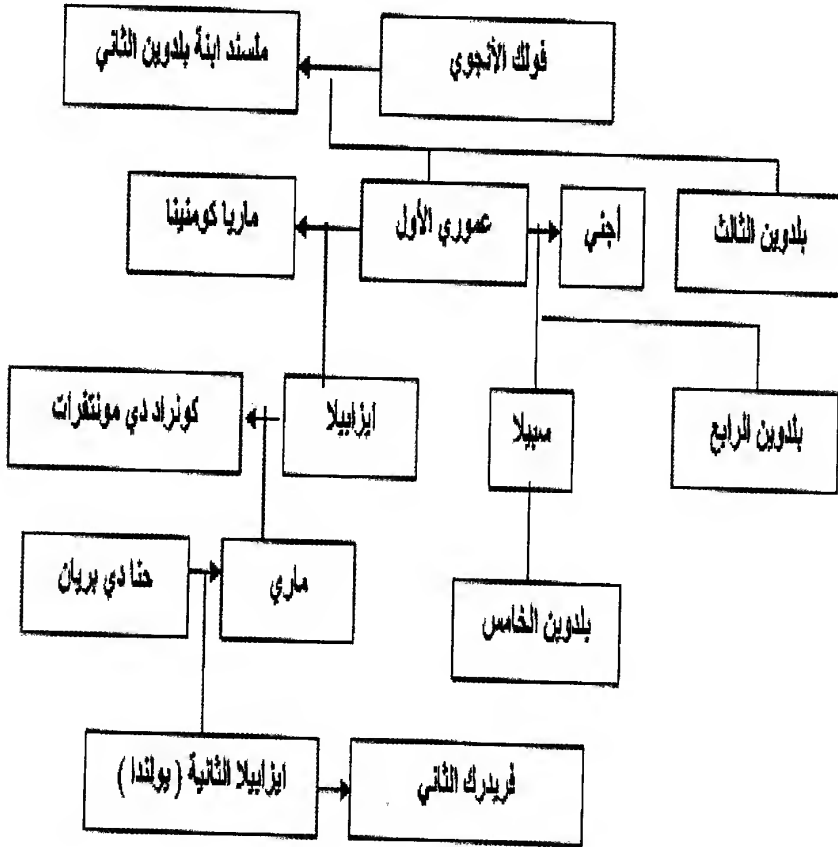
وأخيراً فإن هذا الموضوع الذي لامس جميع مفاصل الحركة الصليبية، ووقف على جانب من تشوهات وانحرافات، دينياً وأخلاقياً واجتماعياً، يبين أن أكثر الأسر المالكة في الغرب الأوروبي من رعاة الحركة الصليبية ومؤيديها وحتى من قادة حملاتها، تنتمي بشكل أو بآخر لأصل واحد. فهم أحفاد ذلك المغامر النورماندي، "الحاج" الفاسق روبرت الشيطان وابنه غير الشرعي، وليم الفاتح. فعن طريق زواج الإمبراطورة ماتلدا، ابنة الملك الإنجليزي هنري الأول من الكونت جيوفري بن فولك الأنجوي، رابع ملوك مملكة بيت المقدس اللاتينية، انتشرت هذه السلالة على جانبي القتال الإنجليزي، وعلى طرفي البحر المتوسط عن طريق بنات الملك هنري الثاني، ابن الإمبراطورة ماتلدا، اللواتي ورثن حملات أمهن الملكة إليانور الأكتانية وورثته لحفيدات وأحفادها. وصار كل جيل من هؤلاء يزيد حماساً وتعصباً عن سبقه حتى آخر أدوار الحركة الصليبية.

ولقد خلُع على تلك الملكات وعلى أبنائهن ألقاب البطولة والفروسية والقداسة في الغرب الأوروبي تكريماً وتخليداً لهم لقاء ما فعلوه من محاربة المسلمين ونزحهم واحتلال أرضهم، وكأن سفك دماء المسلمين كان مطهراً وكفارة لآثام هؤلاء وفجورهم. فقد سارت ذرية روبرت الشيطان على دربه في فسقه وتقنعه بقناع الدين، وانتشرت في كل تفاصيل الحركة الصليبية، كيف لا والشيطان يكمن في التفاصيل!

```

graph TD
    A[روبرت الشيطان] --> B[وليم المفتح]
    B --> C[هنري الأول]
    B --> D[وليم الثاني]
    B --> E[روبرت]
    B --> F[أدبلا]
    B --> G[ستيفن دي بلوا]
    G --> H[ستيفن دي بلوا الملك ستيفن]
    F --> I[فولك الانجوي]
    I --> J[جيوفرى الانجوي]
    J --> K[الإمبراطورة مكلدا]
    K --> L[البياتور الاكتانية]
    L --> M[هنري الثاني]
    M --> N[المونس الثامن]
    M --> O[إلياتور]
    M --> P[جوانا]
    M --> Q[ريتشارد الأول]
    M --> R[جون]
    N --> S[لويس الثامن]
    S --> T[بلاتش]
    T --> U[لويست التاسع]
    U --> V[مارغريت دي برونس]
    V --> W[فردناند الثالث]
    W --> X[إلياتور القشتالية]
    R --> Y[هنري الثالث]
    Y --> Z[البياتوري بروفتس]
    Y --> AA[أدوارد الأول]
    AA --> X
    O --> AB[برنجللا]
    AB --> AC[القونس التاسع]
    AC --> W
  
```

سلالة فولك الأنجوي في القدس



الهوامش

- (1) Warren Hollister , *Medieval Europe A short History*, 5th . ed , John Wiley & sons , New York , 1982, P.185.
- (2) سيعتمد التاريخ الميلادي في هذه الدراسة . وعندما يتعلق الأمر بما يخص التاريخ الإسلامي سيذكر التاريخ الهجري بين قوسين. وأما ملاذكرد فمن أعمال أخلاط في أرمينية شمالي بحيرة وان (Van) واشتهرت بالموقعة الحربية الفاصلة التي جرت بالقرب منها ما بين السلاجقة والبيزنطيين في آب 1071 م (ذي القعدة 465)، وانتصر فيها السلاجقة نصراً حاسماً بقيادة السلطان ألب أرسلان (456-465 هـ) وحطموا الجيش البيزنطي وأسروا الأمبرطور رومانوس الرابع (1068-1017 Romanus IV) . للمزيد عن ملاذكرد انظر: علي بن محمد الشيباني ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 10م، مراجعة محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ج8، ص388-389؛ نكيثا إليسيف، *الشرق الأوسط في العصر الوسيط*، ترجمة منصور أبو الحسن، دار الكتب الحديثة، بيروت، 1986، ص354.
- (3) أكد برنامج الإصلاح الغريغوري على وقف التقليد العلماني لرجال الدين، الذي يعني منع الملوك والأمراء من تعيين رجال الدين في المناصب الكنيسة، ووقف السمعانية وهي شراء المناصب الكنيسة بالمال، وتطبيق قاعدة العزوبية على رجال الدين، أي منعهم من الزواج . (Hollister , PP. 220-224)
- (4) P.M. Holt , *The Age of The Crusades* , Lorgman , London and New York , 2nd ed ., 1987 , P.18.
- (5) كونتس (Countess) : مونث كونت، أحد ألقاب طبقة النبلاء في أوروبا في العصور الوسطى.
- (6) تنتمي ماتلدا إلى عائلة عرفت باسم أتوني (Atoni) نسبة إلى جدها أتوي أدلبرت (Attoi Adelbert).
- (7) Annonymous , "Matilda of Canossa" , The *New Encyclopedia Britannica* , E.B . وسيشار لهذه الموسوعة لاحقاً 936 P. 7 Vol . 15th ed ., London , 1974 ,
- (8) Hothister , P. 223 ; E.B., Vol . 7, P.396.
- (9) جوزيف داهموس، *سبعة مؤرخين من العصور الوسطى*، ترجمة محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1989، ص131 : 396. E.B.Vol. 7 , P.
- (10) نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط في أوروبا، دار الفكر، دمشق، 1982، ص728-730.

- (11) E.B. Vol. 7. P. 396 ؛ سعيد عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ط8، القاهرة، 1985، ص349 ؛ حاطوم، ص738.
- (12) سعيد عاشور، *أوروبا العصور الوسطى*، ص349 ؛ E.B. Vol. 7 , P 396 .
- (13) E.B. Vol. 7 , P. 396 ؛ 741 ؛ حاطوم، Hollister , P. 224.
- (14) فوشيه الشارترى، *تاريخ الحملة إلى القدس*، ترجمة زياد العسلي، دار الشروق، عمان، 1990، ص39.
- (15) August C. Krey , *The First Crusade : The Accounts of Eye witnesses and Participants* , London – Princeton , 1921 , P. 25.
- (16) E.B. Vol . 7 , P. 396.
- (17) وليم الفاتح: ابن غير شرعي للدوق روبرت الأول (Robert I) (ت 1036 م)، دوق نورمانديا، المعروف بروبرت الشيطان، الذي مات بعد عودته من " الحج " إلى القدس، فورثه وليم وهو في السابعة من العمر . وقد كانت دوقيته تواجه أخطاراً داخلية وخارجية كبيرة حتى سنة 1060م . وقد جعلته تربيته في وسط الأخطار رجلاً شديداً حافظ على أملاكه ووسعها بالقوة . وهو من أحفاد الفايكنج (Vikings) الذين خرجوا من شبه جزيرة اسكندنافيا وهاجموا فرنسا في أواخر القرن التاسع وسيطروا على غربها في المنطقة التي صارت تعرف لاحقاً باسم نورمانديا . انظر : Christopher Brooke , *From Alfred to Henry III 871-1272* Norton and Company , New York , London , 3rd ed ., 1969 , Pp. 82-87 .
- (18) فوشيه الشارترى، ص41 ؛ وليم الصوري، تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار == = 2م، ترجمة سهيل زكار، دار الفكر، 1990، ج1، ص225-226.
- (19) لمزيد من التفاصيل حول المجاعة التي واجهها الصليبيون أثناء حصار إنطاكية، انظر: فوشيه الشارترى، ص53-55؛ وليم الصوري، ج1، ص288-289، 294، 342 - 343 .
- (20) فوشيه الشارترى، ص57.
- (21) للمزيد حول موقف ستيغن وهجوم وليم الصوري عليه، انظر : وليم الصوري، ج1، ص312-314.
- (22) Celestia Angenette Bloss , *Heroines of the Crusades* , Muscatine , Iowa , 1852 , PP. 105-106.
- (23) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص67-68 . ذكر ابن الأثير هذه الموقعة في أحداث سنة 496 هـ . ولكن المصادر الصليبية التي ذكرت هذه الموقعة بعد فروغهم من عيد الفصح وأنها جرت في

أيار، توحى أنها جرت في شعبان 495 هـ ؛ سعيد عاشور، الحركة الصليبية، 2م، ط3، المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1978، ج1، ص287-289.

(24) فوشيه الشارترى، ص126.

(25) تشارتر (Chartres) مدينة إلى الجنوب الغربي من باريس، وبلوا (Blois) إلى الشمال من تور (Tours) كانت كونتيه ستيفن تشملهما فهو نفسه ستيفن دي شارتر أو دي بلوا.

(26) وليم الصوري، ج1، ص503.

(27) Bloss , PP. 108-110.

(28) توجد نصوص هذه الرسائل في . Bloss, pp . 109-112.

(29) فوشيه الشارترى، ص134، 172 ؛ وليم الصوري، ج1، ص528 ؛ Stephen Rnnciman , Vol 3 , Cambridge University press , 1979 , *Ahistory of the Crusades* , 3 vol s , PP . 20 , 78 .

(30) قضت ظروف الملك هنري الأول أن يخلفه على العرش الانجليزي ابن اخته ستيفن الثاني كونت بلوا. ففي سنة 1120 م، غرق قارب في القنال الانجليزي كان فيه ولي العهد الأمير وليم (William the Aetheling)، الابن الشرعي الوحيد لهنري الأول من الذكور. ورغم أنه تزوج زوجاً شرعياً آخر عله يرزق بذكر يرث العرش فإنه لم ينل ما تمناه. ولعل من سخرية القدر به أنه كان محاطاً بأكثر من عشرين ولداً من الأبناء غير الشرعيين، ولكنه لم يستطع أن يعهد لأحد منهم . فلا الكنيسة ولا التقاليد تجيز وراثتهم للعرش. فانقل الحق بالوراثة لابنته الشرعية الوحيدة ماتلدا التي تزوجت وهي في الحادية عشرة الإمبراطور الألماني هنري الخامس. ولما مات سنة 1125 م عادت الإمبراطورة الأرملة إلى بلاط أبيها ليتم إعدادها لوراثة العرش الانجليزي. وفي مطلع سنة 1127 م اقسام كبار النبلاء الانجليز ومعهم ابن عمته أديلا، ستيفن، على الاعتراف بها سيدة لانجلترا (Lady of England) إذا مات أبوها دون وريث ذكر. ولكن في السنة التالية زوجها أبوها وقبلت على مضض لكونت صغير تكبره بعشر سنين هو جيوفري كونت أنجو (Geoffrey of Anjou)، المعروف بلانت ايجنت (Plantagent) لأنه اعتاد أن يضع غصن نبات في خوذته. وهو ابن فولك الانجوي (Fulk of Anjou) ملك مملكة بيت المقدس الصليبية الرابع (1131-1144). ولأن النبلاء الانجليز لم يقبلوا ذلك الزواج، الذي سيجيز لجيوفري أن يصبح ملكاً لانجلترا ودوقاً لنورمنديا، اتجهوا إلى تأييد ستيفن بن أديلا لتولي العرش بعد خاله، وتم له ذلك واثارت الإمبراطورة ماتلدا على ذلك الوضع ووقعت حروب بينها وبين ستيفن وكانت أحياناً تقود جيوشها بنفسها. وفي سنة 1153 أجبر ستيفن على أن يكون ابنها هنري الانجوي ولياً للعهد من بعده . وتولى بالفعل بعد موت ستيفن سنة 1154 م باسم هنري الثاني، ودام حكمه حتى

1189 (Brooke , pp. 166-172 , Hollister , PP. 247-240) . وليم الصوري، ج2، ص

Joseph and Frances Gies , *Life in a medieval Castle* , Harper and Row , New York , 1974 , Pp. 84-86

(31) Hollister , P. 182

(32) .كلود كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، سينا للنشر، القاهرة، 1995، ص133.

(33) وليم الصوري، ج1، ص550-551 ؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص327 .

(34) وليم الصوري، ج1، ص518، عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص177.

(35) Jo-Ann McNamara and Snzan F. Wemple , " Marriage and Divorce in the Frankish Kingdom " , *Women in Medieval Society* , ed . Suzan Mosher Stuard , Universsity of Pennsylvania press , 1976 , PP . 95-135.

(36) وليم الصوري، ج1، ص518.

(37) يقول وليم الصوري في ص518 : " وأجبرها (أردا) أن تصبح راهبة في دير القديسة حنه والدة أم الرب مريم العذراء الطاهرة، وذلك بصرف النظر عن حقوق الزواج ودون إجراء قانوني على الرغم من أنها لم تقترف أية جريمة، ولم تعترف بأية واحدة " . ويقول في ص519 : " وبتت في البداية أنها قانعة بالاعتقاد على حياة الرهبنة، وعاشت حياة شريفة في كل مظاهرها في ذلك الدير، وذلك في الفترة الأولى لترهبها، غير أنها انتهزت في النهاية فرصة مواتية للاقتراب من الملك، وحصلت بقصص كاذبة على إذن لزيارة أسرتها في القسطنطينية وادعت أنها رغبت بالحصول على وسائل لتخفيف فقر جماعتها، وغادرت المملكة تحت هذه الذريعة، إلا أنها تخلت فوراً عن الرهبنة وبدأت تنغمس في حياة فاسقة وداعرة، ومارست البغاء مع جميع من أتاها دون احترام لسمعتها وللجلالة الملكية ولمنزلتها السابقة". ويقول في ص566 : " ثم عاد الملك وتقدم من هناك إلى القدس، حيث استبد به مرض مفاجئ وخطر أنهكه بشكل يفوق قوى الاحتمال، وأصابه وخز الضمير لأنه كان هجر زوجته الشرعية وتزوج امرأة أخرى وخاف من أنه كان على وشك الموت، وغمرته الندامة والتوبة وأفصح عن وساوسه لبعض الرجال المتدينين الذين يخافون الله، واعترف بإثمه ووعد أن يقدم تعويضاً عنه، ونصحه بعضهم أن يُبعد الزوجة التي تزوجها مؤخراً وأن يسترد زوجته السابقة إلى المنزل التي كان قد حرّمها منها . ووافق على عمل هذا إذا بقي على قيد الحياة، وألزم نفسه بقسم لتحقيق ذلك " .

(38) وليم الصوري، ج1، ص551.

(39) كلود كاهن، ص 128 . وبلدوين لابورج هو الذي سيتولى عرش مملكة بيت المقدس باسم بلدوين الثاني (1118-1131).

(40) وليم الصوري، ج 1، ص 566

(41) المصدر نفسه، والمكان نفسه.

(42) المصدر نفسه، ج 2، ص 973، للمزيد حول هذه الحملة وهزيمتها، انظر : ابن الأثير، الكامل، ج 10، ص 63-65.

(43) R.Pe. , " Eleanor of Aquitaine" , *E. B* , Vol. 4.p.422.

(44) وليم الصوري، ج 2، ص 772-773 : Amy Kelly , *Eleanor of Aquitaine and The Four Kings* , Harvard university Press, 1959 , PP . 52-53.

(45) Kelly, P. 56; Marina warner , Alone of All Her Sex The Myth and the Cult of Vergin Mary , Random Honse , New York , 1983 , P. 141.

(46) Hollister , PP. 261-263.

(47) Kelly , P. 56.

(48) I bid , P. 58.

(49) I bid , P . 59.

(50) وليم الصوري، ج 2، ص 773.

(51) Kelly , P. 60.

(52) وليم الصوري، ج 2، ص 443.

(53) Kelly , PP . 60-61.

(54) وليم الصوري، ج 2، ص 774

(55) المصدر نفسه، ج 2، ص 773.

(56) حول المزيد بهذا الخصوص انظر :

(57) Kelly , pp . 62-63 Hollister , P.168; Joan Kelly-Gadol , " Did women Havea Renaissance" . in *Becoming Visible : Women in European History* , ed . Renate Bridenthal et . al , Hughton Mifflin , Boston , 1977 , PP . 145, 156.

(58) Gies , P.86 Bloss , pp. 140-141.

(59) انظر حول ذلك : بهاء الدين بن شداد، *النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية*، موقع الوراق

<http://www.alwarraq.com>، ص 1.

(60) R.Pe, " Eleanor of Aquitaine , " *E.B*. Vol . 4. P. 422.

(61) وليم الصوري، ج 2، ص 788.

- (62) ولدت اليانور حوالي سنة 1122 م أما زوجها الجديد هنري الانجوي فولد في 25 آذار 1133 م (E.B. Vol . 4 , P.422; Brooke, p.166).
- (63) Hollister , P. 263. ; Brooke , P.186.
- (64) Brooke , PP.173-174; E.B. Vol.4,P.422.
- (65) مرت تلك الثورة التي تعرف بثورة الأشبال بمراحل كان أعنفها في سنة 1173-1174 عندما ثار هؤلاء على طرفي القتال الانجليزي بتشجيع من أهم وتأيد من الملك الفرنسي لويس السابع وزعامات شمال فرنسا . وقد اضطر هنري الثاني إلى سجن الملكة في قلعة سالزبوري (Salisbury) حتى سنة 1183 . وبعد موته سنة 1189 تنقلت من مدينة إلى مدينة ومن قلعة إلى أخرى في إنجلترا وفرنسا وتدخلت وهي في الثمانين في المنازعات على العرش لصالح ابنها جون ضد حفيدها آرثر (Arthur) ابن جيوفري (Arthur) ابن جيوفري (Arthur) Gies , P.86 , Hollister , P.167 ; Brooke , p. (188).
- (66) حكم ريتشارد الأول قلب الأسد من 1189 إلى 1199 فزار إنجلترا خلالها مرتين: إحداهما لثلاثة أشهر والثانية لشهرين، وأمضى فترة حكمه متغلاً متجولاً ما بين أوروبا و فلسطين ونهب بلاده لتمويل الحملة الصليبية التي اشترك فيها وتخلّى عنها للطامعين والمتآمرين في الداخل والخارج (انظر Brooke , P. 211) .
- (67) Brooke , P.211.
- (68) ابن الأثير، ج10، ص204-205 ؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص805 وما بعدها Brooke , PP.211-213 ; Hollister , PP. 188-189 ؛
- (69) *The Crusade of Richard I* , Selected and arranged by T.A. Archer , New York – London , 1889,PP. 10-14 ; *Three Old French Chronicles of the Crusades* , translated by Edward Noble Stone , Washington , 1939 , PP. 33-98 ; Bloss , PP.195,223 .
- (70) *The Crusade of Richard I*, PP.50-51; Runcimon, Vol.3, P.141.
- (71) *Three old French Chronicles* , PP. 26,29, 33; Bloss, P.223.
- (72) حول المزيد من التفاصيل عن موقعة أرسوف، انظر : ابن شداد، ص83 وما بعدها ؛ ابن الأثير، ج10، ص208 - 209 ؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص841-842.
- (73) ابن شداد، ص89.

(74) عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي أبو شامة، *كتاب الروضتين في أخبار الدولتين*، ج2، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1962-1965، ج2، ص153.

(75) ابن شداد، ص90.

(76) المصدر نفسه، والمكان نفسه.

(77) المصدر نفسه، ص92.

(78) Brooke , P.186.

(79) حول المزيد عن أزمة عرش مملكة بيت المقدس بعد وفاة الملك بلديون الرابع (Baldwin IV)، (1174-1185). ابن عموري الأول، والممارسات النابية عن الدين والأخلاق لعائلته ولبعض زعماء الصليبيين وخاصة كونراد دي مونتفرات == انظر: Geoffrey of vinsauf, " The Crusade of Richard I, in *Chronicle of the Crusades* , London , 1948, PP.134-141; Three old French Chronicles , P.62

(80) خلفت الملكة إليانور الأكتانية للملك لويس السابع ابنتين، أحدهما ماري دي شامبين، التي اشتهرت في تاريخ الآداب الأوروبية في العصور الوسطى أكثر من شهرتها في التاريخ، ذلك لأنها رعت في بلاطها عدداً من الشعراء الغنائين (troubadours) الذين شكلت أشعارهم لوناً أدبياً جديداً في حينه، وتطور منذ أواخر القرن الحادي عشر وعبر القرن الثاني عشر ليشكل مدرسة عرفت بمدرسة الحب النبيل (Courtly Love) ذات أصول تحكم العلاقة ما بين المحبين من الطبقة الارستقراطية، وتتحدث عن قصص الفرسان العشاق ومغامراتهم البطولية، وتضفي على الحب في جوانبه الشهوانية والجسدية معنى روحياً طاهراً نبيلاً . فالعاشق يعبد محبوبته ويسبغ عليها قيماً مثالية، ويخضع لكل رغباتها. وغالباً ما يكون فارساً أعزب يحب زوجة رجل آخر فيعاني المحب الآلام والأمراض البدنية والروحية بسبب تعلقه بمحبوبته المتعجرفة ونزواتها. ولكنه يبقى مخلصاً وفياً لها حتى أثناء معاركة. وثمة إجماع على أن أول أولئك الشعراء الغنائين هو وليم التاسع (ت1127م)، دوق أكتانيا وكونت بواتيه . وهو جد إليانور الأكتانية . فرعت حفيدته هذا الفن وحملته إلى شمالي فرنسا ومن ثم إلى إنجلترا ونشرته في شمالي أوروبا أثناء تجوالها، حيث كان يرافقها الشعراء والمغنون والموسيقيون . وفعلت ابنتها الشيء نفسه ورعت هذا الفن بتشجيع أمها . انظر : M.H. Abrams , Glossary of Literary Terms , Harcourt Brace , Orlando , Floreda , 1993 , P.38; Warner, P. 138 ; Joan Kelly – Gadol , P.147 ; Gies , p. 87).

(81) ابن الأثير، ج10، ص241.

(82) أنجبت إزابيلا ابنة لكونراد هي ماري (Mary) عرفت بالماركيزة (la marquise) تزوجت حنادي بريان (John de Breienne) حكم ملكاً سنتين (1210-1212) ثم حكم بعد موت زوجته وصياً على ابنتيهما إزابيلا الثانية وأبولندا (Yolanda) حتى تزوجت سنة 1225 م من الإمبراطور فريدريك الثاني (1211-1250) ، (Holt, P.32; Warner, P.141).

(83) Holt, P.59.

(84) Y.J. " Blanche of Castile , " *E. B.* , Vol . 1 , PP. 272-273 .

(85) للمزيد حول حروب الفونس الثامن ضد المسلمين انظر: ضيا باشا، *الأندلس الذهبية*، 3 م، ترجمة عبد الرحمن ارشيدات، وزارة الثقافة، عمان، 1989، ص9-51 .

(86) *E.B.* Vol. 1 P. 272

(87) Idem.

(88) *E.B.*, Vol. 1 , P . 272 . ; Hollister , P. 167.

(89) J. Le , " Lows IX , " *E. B .* Vol . 7, p. 496.

(90) Hollister , P. 167.

(91) David Heralhy , " Women in Continental Europe , 201-1200 , In *Women in Medieval Society* , Pp. 22-44.

(92) Hollister, P. 265.

(93) الكاتدرائية هي كبرى الكناس في الأبرشية يكون فيها عرش الأسقف.

(94) Warner , PP , 113-114 ، والصورة المشار إليها تحمل الرقم 15 في المرجع المذكور .

(95) Jo-Ann McNamara and Suzan F. Wemple , " Sanctity and Power " , in *Becoming Visible* , P. 113

(96) Idem ; Gies , P. 84..

(97) عاشور، *الحركة الصليبية*، ج2، ص995 وما بعدها.

(98) "Margeret of Provence " , *E. B .* Vol . 7 . P 885.

(99) البيزنط (Besant) أو الدينار الفرنجي هو العملة الذهبية التي استخدمها الصليبيون، وهو نقد رفيع القيمة عرف عند المسلمين باسم الدينار الصوري لأن من الممكن أنه كان يضرب في مدينة صور (كلود كاهن، ص180، 351، هامش 45) . تذكر المصادر الإسلامية أن المبلغ كان ثمانمائة ألف دينار . وبذلك فإن البيزنط يساوي 80% من الدينار الإسلامي . حول ذلك انظر : المقرئزي، *السلوك*، ج1، ص363 : ابن تغري بردي، *النجوم الزاهرة*، ج6، ص327.

(100) *Three Old French Chronicles* , PP. 335-339 ; Runciman , Vol . 3 , PP . 271-272 .

(101) *Three Old French Chronicles* , PP . 339.

(102) De Joinville , " The Crusade of St . Louis " , in *Chronicle of the Crusades* , London , 184. P.305 .

(103) Hollister , P. 265.

(104) عاشور، *الحركة الصليبية*، ج2، ص1042 وما بعدها.

(105) Brooke , p. 229 ; E.B . " Margeret of Provence , " Vol. 7 , P. 835 .

(106) Hollister , P. 258

(107) George Holmes , *The Latter Middle Ages 1272-1485* , Norton and Company, New York – London , 1966, P.102.

حول غارات الأمير أدوارد على المسلمين في مناطق الشاغور والبعنة والكرمل وقاقون. انظ
طه الطراونه، *مملكة صفد في عهد المماليك*، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1982، ص57

(108) "Ferdinand III " , *E. B* Vol , 4 , P.98.

(109) هشام أبو رميله، *علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس*، دار
الفرقان، عمان، 1984، ص315..

(110) *E.B.*Vol . 4 , P.98.

(111) حول المزيد عن فرديناند الثالث وحروبه وتعامله مع المسلمين، انظر: ضيا باشا، *الأندلس
الذهبية*، ج3، ص58-113.

(112) لم يكن ذلك مسموحاً به في قانون الزواج الكنيسي وقد اجبر رجال الدين ملك بيت المقدس
عموري الأول حين طالب بالعرش سنة 1162 م على طلاق زوجته أجنى (Agnes) لأنهما كانا
قريبين من الدرجة الرابعة. (وليم الصوري، ج2، ص883).

(113) Eleanor of Castile , *E .B .* Vol . 4 , P . 422 . Runciman , Vol . 3 , PP . 335,
338..

(114) Holmes , PP . 52-55.

(115) Gies , P. 60.

(116) *E.B.* Vol , 4 , P . 422.

(117) طه الطراونه، ، ص66.